كادمي كوهين

دولة "إسرائيل"



دولة "إسرائيل"

الطبعة الاولى
١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م

كاديمي كوهين

دولة "إسرائيل"



مقدمة

الكتاب (دولة اسرائيل) لمؤلفه كادمي كوهن الذي نقدم ترجمته هو وثيقة تاريخيه هامه ، وذلك للاسباب التالية :

١) ان قدم اصدارد باللغة الفرنسية والذي يعود لعام ١٩٣٠ كمشروع لاقامة الدولة الاسرائيلية يعطيه مصداقية شرح ابعاد الفكرة الصهيونية على أرض الواقع الذي تحلم به في المنطقة ومن ثم شرح الغرض الاساسي من أقامة دولة اسرائيل كخدمة للاستعمار الغربي في وجه البربرية الاسيوية .

٢) الكتاب يتناول في موضوعاته : « الاستراتيجية العامة للدولة الاسرائيلية » المزمع اقامتها من ناحية وللحركة الصهيونية ودورها الذي ستؤديه منذ تاريخ صدور الكتاب ، ومن ثم بعد اقامة الدولة سواء أكان ذلك في المنطقة العربية او على المستوى العالمي .

٣) ان ما تحقق حتى الآن من الافكار الوارده في الكتاب (سواء على مستوى اقامة الدولة او الدور الصهيوني العالمي) ، على أرض الواقع يؤكد وبشكل واضح استمرارية تنفيذ المخطط الاستعماري ـ الصهيوني في المنطقة دون التراجع عنه قيد انملة

واحدة ، الأمر الذي يكذب ويفضح كل كذب وادعاء دولة اسرائيل والحركة الصهيونية والاستعمار الغربي بقيادة أمريكا حول مقولات السلام والتعايش .

٤) يأتي الكتاب بمضمونه الجوهري ليؤكد من جهة اخرى المشروع الاستعماري الكبير والذي عرف باسم تقرير كامبل بنرمان والذي وردت نصوصه في كثير من الوثائق والكتيبات والنشرات التي صدرت عن مكتب الدراسات .

واذا كان تقرير كامبل بنرمان يضع المخطط النظري لاستعمار المنطقة وينبه الى خطر تركها بدون استعمار ، فان كتاب دولة اسرائيل ، الذي أتى بعده بما يقارب الـ ٢٢ سنة يضع المخطط التنفيذي لاستعمارها عن طريق حض الدول الاستعمارية ذاتها (التي وضعت تقرير كامبل بنرمان) الى الاسراع في اقامة دولة اسرائيل ودعم الحركة الصهيونية في دورها العالمي قبل أن تفوت الفرصة وتفلت المنطقة من عقال الاستعمار وتنهض الامة العربية ويتم تحررها وتقدمها ، الامر الذي ينبه من مخاطرة كامبل بنرمان منذ سنة ١٩٠٨ .

والكتاب اجمالا وللاسباب التي ذكرناها جميعا كتاب ضروري لكل مناضل - عربي مؤمن بتحرير وطنه وامته ، وسيجد فيه القارىء مادة جوهرية عن حقيقة الصهيونية فكرا وممارسة ، الامر الذي يجعل من ايمانه ونضاله الفعال ضدها قضية محسومة غير قابلة للاخذ والعطاء والتشكك بنوايا الاستعمار ، وبالتالي امريكا الداعم الأول والمشجع الاخير للصهيونية .

كما أن الكتاب ومن الجهة الأخرى قد عرض وفي تاريخيه على ابرز الكتاب والمفكرين من مختلف المواقع والمواقف من أجل نقده وتقييمه وقد اخترنا من بين ردودهم (ردود هؤلاء النقاد الذين عرض عليهم الكتاب من قبل الكاتب نفسه) الردود التي رأيناها انها تستحق الاهتمام وتبيان وجهات النظر الجادة سلبا وايجابا .

هذا ونامل باستمرار ان نتلقى حول ما تقدم من مواد سواء أكانت مؤلفة او معدة او مترجمة كافة انواع النقد والنقد البناء من اجل تحسين وتطوير عملها ، وما تقدمه من مواد مختلفة حول قضية صراعنا الحضاري الطويل الأمد مع عدونا الرئيسي . امريكا ومشروعاتها في المنطقة اسرائيل والصهيونية العالمية وكافة الصهيونيات من أي نوع كانت .

* * *



مقدمة المؤلف

كانت الفكرة الصهيونية في البداية خرافة ساذجة ، ثم ترجمت حاليا الى حقائق ملموسة حظيت باعتراف دولي ، وقد خلفت تلك الحقائق كراهيات متعددة لاتباع الصهيونية فنحن بالذات لم نتردد في تناول تجربة الفشل الاولى . غير أن عشرات الآلاف من الصهاينة الذين اقاموا في فلسطين ، واصبحوا عناصر الحياة القومية ، قد شكلوا نواة واقع ، لا يمكن كائنا من كان من انكاره . « فالشعب الصلب » مرتبط بجذوره الاكثر صميمية والاكثر ثبوتا ، والاكثر ديمومة ، وما أحداث آب (اغسطس) لعام ١٩٢٩ ، التي خضبت فلسطين بالدماء ، سوى أكبر شاهد على ذلك . وقد رأى المراقبون المتبصرون في تلك الاحداث التي اعتبرها العالم شكلا من أشكال فشل الصهيونية ، رأوا فيها شيئا آخر .

لقد صمد الصهاينة الذين لم يكونوا يشكلون سوى نسبة واحد من خمسة ، صمدوا امام الهجوم ، واذا كانت بعض مواقعهم المحاطة والتي يصعب الدفاع عنها مثل - صفد والخليل - اذا قيست بمواقعهم الرئيسية ، قد تعرضت لآلام جسيمة ، فان المهاجمين الذين كانوا يشكلون الاعداء المؤقتين ، لم يتمكنوا من السيطرة على الاراضي الساحلية التي تشكل الجزء الهام من فلسطين ، ولم يجرؤا على مهاجمتها . وانه لمن المفيد ان

نذكر الشهادة المنصفة والمحايدة للسيد ج . بونسيفين في الدراسة التي نشرها (بمجلة المصلحة العامة الكاثوليكية ، العدد الصادر في ٥ آب (أغسطس) عام ١٩٣٠ ، تحت عنوان ، وقائع اليهودية الفرنسية صفحة ٣٤١ ـ ٣٤٢) والتي جاء فيها « كانوا (الجماهير العربية المتعصبة) ينطلقون في ثلاثة ارتال لمهاجمة المستعمرات والاحياء اليهودية ، كانوا سيقتلون وسيسلبون ، وسيحرقون كل شيء ، لولا تدخل النجدات السريعة لقوات الدفاع الصهيونية الخاصة الهاجاناد ، التي كان رجالها وسياراتها ، يصدون المهاجمين ويفرقونهم بسهولة ، وكان رجال الشرطة والدرك يتسارعون ايضا الى مكان الأحداث ولكن متأخرين في أغلب الاحيان » .

« كنا نلاحظ ان قوات الشرطة لم تكن كافية وفعالة لأن تكبح الهياج الشعبي بمفردها ، لأنها قليلة العدد ، ولأن الفلسطينيين الذين كانوا في صفوفها ، لم يكونوا أهلا للثقة بمجرد ان يبدأ القتال » . (تقرير رقم ٤٢)

« كانت الهاجانا التي تشكل الدفاع الذاتي اليهودي تتألف من (تشكيلات باسلة ومحدودة ، تضم ، ويقودها محاربون قدامى خاضوا الحرب العالمية ، مجهزين بالسيارات والأسلحة الحديثة) . كان هؤلاء الرجال يخوضون معارك رهيبة ، لم يكونوا هم البادئين بها ، لأن اليهود لم يكونوا يهاجمون العرب ويخربون ممتلكاتهم ، الا في حالات نادرة ومتقطعة ، انتقاما لما كان يقوم به العرب ضد جيرانهم اليهود . (تقرير رقم ٣) .. » وكانت الخسائر من الجانبين متعادلة ...

« نستخلص من هذا ، ان اليهود الذين لم يكونوا يشكلون سوى اقلية ضئيلة لا تزيد عن خمس مجموع السكان يستطيعون بوسائلهم الخاصة فقط ، ان يجابهوا العنف الجديد وان يبطلوه » .

من غير المجدي ان نؤكد على مغزى هذا الانجاز المبدئي .

فالانجاز الذي تلاه لم يكن اقل اهمية ، لان الأحداث التي رافقت هذا الموضوع في انحاء العالم منذ شهر آب (أغسطس) عام ١٩٢٩ ، تثبت بشكل قاطع ، ان اسرائيل ليست مستعدة لأن تنحني أمام السيطرة الانكليزية ، بل كانت ترغب ، ولا تزال ترغب في التعاون ، مع بريطانيا العظمى ، غير انها قررت ان تتابع هدفها بعيدا عن المزاحمة الانكليزية فيما اذا رفض الانكليز التعاون معها . من المؤكد ان الذكريات العاطفية بدءا من كرومويل وحتى بلفور ، تدفع باسرائيل الى التعاون المخلص مع الأمة العظيمة التي تحترمها غير انها بدأت تدرك ، ان السياسة لا تواجه من خلال الزاوية العاطفية فقط .

ان الصهيونية لا تشكل القومية الاسرائيلية فحسب ، وانما تشكل هدف اسرائيل الوحيد ايضا ، والمشاغل البريطانية كانت على العكس ، تنطلق نحو مجال أوسع بكثير ، مما حدا بالصهاينة الى ان يدركوا اذن ، ضرورة تنظيم انفسهم بشكل يؤمن الموازنة بين قواهم على الصعيد المحلي والصعيد الزمني المؤقت في تلك الفرصة الملائمة ، وبين سلطة الانتداب . ففي السياسة ، كما في الطبيعة ، كل شيء له مسبباته : فاللعبة الصهيونية ، لا يمكن أن تلعب وتكسب ، اذا لم تستعن بكل الاحجار المفيدة ، على رقعة الشطرنج السياسية : الاحجار الديبلوماسيـة والاقتصاديـة والعرقية والنفسية والاجتماعية والدينية والاخلاقية . غير انه يوجد الى جانب العمل السياسي المعقد والمنسق ببراعة ، يوجد عمل آخر ايضا . هو ما أشارت اليه الحكومة البريطانية بصلابة مفرطة ، عندما اجابت على اللوم الذي يحتويه التقرير الموجه من قبل بعثة الانتداب الى مجلس عصبة الأمم ، لأنها أهملت تطبيق الجزء من الانتداب المتعلق بالوطن القومي اليهودي . وقد جاء في رد الحكومة البريطانية على هذا التقرير . « ان المهمة الموكلة الى السلطة المنتدبة لا تقضي باقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، وان هذا الامر مفروض على اليهود انفسهم » .

ان الحكومة البريطانية بكتابها الابيض الصادر في ٢٠ تشرين

اول (اكتوبر) لعام ١٩٣٠ ، الغت بالفعل وعد بلفور ، وبدات الصهيونية تجتاز ازمة خطيرة ، غير ان نفوذها المسيحي كان من القوة بحيث ان ابطال الحلف الذي كان يربط اسرائيل ببريطانيا العظمى لم يكن ليسحقها .

واذا استطاع هذا الكتاب المتواضع ان يجعل في تطور الازمة ، نكون قد وصلنا الى هدفنا المنشود . اننا نعتقد باننا تبينا الطريق العريض والمستقيم الذي يقود الى النصر ، انه بلا شك طريق طويل ومزروع بالعقبات ، غير انه يؤدي في النهاية الى شفاء اوجاع اسرائيل .

ان هذا الشفاء يكون في ذات الوقت شفاء لجرح يشين الانسانية منذ زمن موغل في القدم .

ـ المؤلف ـ

الجـزء الأول

العرض العقـائدي

« العبودية تذل الانسان الى درجة تجعله يتعشقها »

ـ فوقينارغ ـ

ان اليهودية موجودة منذ ثلاثة آلاف سنة ، وقد اعطت للعالم دياناته الرئيسية ، كما أن دعوتها وتأثيرها لا يزالان قائمين في يومنا الحاضر ، كما كانا في قديم الأزمنة . فهي في أصول وجودها ، ليس لها هيئات نظامية ، ولا تمثل واقعي ، غير أن ما تثيره من قضايا ، ينعكس على العالم بأسره .

ان الصهيونية أعظم ما واجهته اسرائيل منذ ظهورها ، ان تلك الحركة تطرح ألف مشكلة من مختلف المستويـات والأوضـاع : السياسية ، الدينية ، الاقتصادية ، العرقية ، وكل واحدة أهم من الأخرى .

هنالك الكثيرون ، حتى قسم هام من اليهود الذين اندمجوا ، والذين لا يرغبون باقامة قومية يهودية ، يختلفون مع الصهاينة ، كما أن الصهيونية غير مقبولة بالنسبة لهؤلاء الذين يرون في الديانة اليهودية التقليدية شيئا مقدسا لا يجوز المساس به . ويجدر ، اذا أردنا أن نصدر حكما على نتائج تأثير الصهيونية ، أن لا يفوتنا أن اعتبار الفشل او النجاحات المؤقتة ليس له كبير تأثير على المطالبات اليهوديـة الاساسية ، فالأساليب يمكن ان تتغير وكذلك الرجال ، غير ان هذا التغير لا يضير بشيء أملا يعيش منذ الفي سنة ، ولا حماسا لا يمكن لأحد ان يوقفه .

يسمح لنا هذا القول بان نتساءل فيما اذا كانت الأساليب المستعملة قد اعطت ما كان يجب ان تعطيه ، وما كان متوقعا ان تعطيه . اذا راجعنا نتائج الحقبة الصهيونية الأخيرة الممتدة من الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ الى يومنا هذا ، نجد انفسنا مضطرين الى الاعتراف بأن تلك النتائج غير مرضية . ومما لا شك فيه أن السكان اليهود اصبحوا يشكلون ما يقارب العشرين بالمئة من مجموع سكان فلسطين ، كما ان قسما كبيرا من الاراضي ، أصبح بلا شك ملكا للصهاينة الذين اصبح لديهم انطباع واضح جدا ، انه في حالة اخلاء البلاد من السلطة المنتدبة ، ومنع تلك السلطة من التدخل في شؤون البلاد الداخلية ، **سيجدون طريقة مرضية للتعايش مع السكان المحليين .**

غير أن الفعاليات والثروات ، وكل نفوذ واقعي ، لا يشكل الا اهمية نسبية حيال الانجاز الشامل للفكرة الصهيونية : **فملايين الجنيهات الاسترلينية التي وظفها اليهود في فلسطين ، والتي لا تشكل الا جزءا ضئيلا من الامكانيات المالية اليهودية ، لم يكن هدفها بالطبع نقل بضعة آلاف او عشرات الآلاف من البشر الذين باستطاعتهم ان يعيشوا في مكان آخر من ريع هذا المبلغ ، وانما كان الهدف ، خلق دولة قوية ، قابلة للحياة وذات سيادة . وقد اصبح الصهاينة الآن ابعد عن هذا الهدف مما كانوا عليه في عام ١٩١٣ او عام ١٩١٩ .**

بامكاننا في الوقت الحاضر ، أن نعتبر التجربة الصهيونية الأولى فاشلة ، فالانجازات التي حققها الصهاينة ، والتي تعتبر هامة بحد ذاتها ، هي انجازات تافهة سواء بالنسبة للوسائل المستعملة ، او بالنسبة للهدف المنشود . ومن ناحية ثانية ، فان المستقبل الصهيوني قد تكيف بالموقف العربي والموقف البريطاني : كان الموقف الاول عدائيا ، والثاني لا مباليا ، ففكر البعض ان الظروف أحالت الجهد الصهيوني الى جهد ضائع لا مستقبل له ، وحذفوه من لائحة القضايا الكبرى في العالم .

ليس لهذا الحل البطيء ما يبرره في الواقع ، سواء من ناحية حد المشكلة اليهودية في بعض بلدان العالم وسواء في الامكانية التي لا تزال الصهيونية تحتفظ بها في جنباتها ، فاذا كانت اللاسامية لم تعد مستمرة في الغرب ، الا في حالة الظاهرة التي تتعلق بالشخص ، اذا كانت التخصيصية اليهودية قد اخذت تميل الى الضعف شيئا فشيئا في هذه الاقطار ، فان الحالة تختلف كثيرا في اوروبا الشرقية ، لأن الجماهير اليهودية المقيمة هنالك لا يمكن لها ان تندمج في وسط القوميات التي تحويها الا بعد عدة قرون ، فمستقبلها مهدد بالنظرية العائدة لمبادىء ولسن المتعلقة بالاقليات القومية . وعوضا عن أن تكون تلك النظرية دواء للمرض ، أحالت المرض الى داء مزمن .

من غير ان نبحث على من تتوجب مسؤولية حالة اشياء مماثلة ، نستطيع القول ، أن العبقرية اليهودية ، ذلك النتاج المعقد للعرق وللدين وللظروف التاريخية ، ولنوعية الحياة ، متفوقة ، فلقد بقيت تقاوم ، وتغذي في كل مكان التخصيصية ، وتركت المسألة اليهودية قائمة تماما . ان الصهيونية تصبح الحل الأمثل لتلك المسألة المثيرة : فمن المحتم اذن قبل ان نحكم عليها ، أن ندرس فيما اذا كان فشل التجربة الاولى نهائيا .

عندما نتفحص أسباب فشل الصهيونية النسبي هذا ، نلاحظ انه يعود لثلاث فكرات متسلسلة : يأتي في المقام الأول ، غياب العقيدة الراسخة والواضحة والدقيقة ، ويأتي في المقام الثاني ، العجز عن حل المشكلة العربية ، وفي المقام الاخير ، عدم قدرة العالم المتمدن على فهم قضية الشرق الجديدة فهما كاملا .

سنعالج في الصفحات القادمة من هذا الكتاب ، جوانب القضية الثلاثة كلا على حدة ، غير أنه يجب ان نشير منذ الآن الى المبدأ الذي يشكل في آن معا الاساس ونقطة الانطلاق لتصورنا : ينبغي ان تكون السياسة الصهيونية مستقلة ، وأن مشيئتنا في العودة الى بلاد الأجداد الاقدمين في « عربات الغرباء » والعالم متفق كله ، على ان الانكليز

غرباء بالنسبة لفلسطين ـ تعد خطأ لا يغتفر اقترفه اليهود عندما اتخذوا من وعد بلفور لوحده اساسا لمطالباتهم ، فضلا عن انه غامض بقدر ما هو غير منطقي .

ان مطالبة الشعب اليهودي القديمة والنبيلة في البحث عن وطن ، لا يمكن ان ترتكز على قصاصة ورق تكون موضوع تأويلات وتعديلات والغاءات ، يجب ان ترتكز على حقائق خالدة ، مستقلة عن مصالح نفوذ ثلاثي ، او عن تعاطف او نفور رجال الدولة او الصحفيين الغرباء . ان تلك الحقائق الخالدة ، التي تبيح خلق عقيدة صهيونية حقة لا يمكن ان توجد الا في الحكمة اليهودية .

ان العرض العقائدي الذي يشكل الجزء الأول من هذا الكتاب ، يوضح اسباب ايماننا بالصهيونية المبنية على الحكمة اليهودية ، ويعين القواعد التي تسمح لهذا كما تسمح لذاك ان يتحقق . ويكفي ان نقول من الآن ، بأن الميثاق الذي نجم عن اجتماع (بال) ، كما وأن وعد بلفور ، هما غير مقبولين من اكثرية الجماهير اليهودية ، ولا يمكن لهذه الجماهير ان تقبل بهما كأساس لحل نهائي للمسألة اليهودية في العالم . **فالعقيدة اليهودية الحقة للصهيونية لم تتوضح قط ، ونظن انه بامكاننا تحديدها على الشكل التالي :**

خلق دولة في الوطن القديم للعرق اليهودي ، تتمتع باستقلال اقتصادي ، وذات حدود استراتيجية يتعذر انتهاكها ، قادرة على استيعاب كافة يهود العالم الذين يرغبون في الاقامة على ارضها بعد ان يختاروا نهائيا بين وطنهم اليهودي والوطن المحلي الذي تبنوه . دولة تضم اليهود والعرب ، اي قوميتين سياسيتين تستطيعان في يوم من الأيام ان تتوحدا في الداخل ، وتصبحا طرازا ومثلا للعالم العربي في الخارج . واخيرا دولة تدور في فلك اوروبا الغربية وتصبح المخفر الامامي للعالم المتمدن ، يقف في وجه آسيا التي بدات تستيقظ .

بهذا ، تتحدد الفكرة الصهيونية وتتجاوب بعمق مع الاهداف الضمنية لكافة الجماهير اليهودية التي لم يعبر عنها حتى الان ، والتي

تستحق اهتمام العالم ، لما يمثله الهدف الذي تسعى اليه من عظمة ، ولما يتطلبه من عون . ان تحقيقه الشامل ليس في العمل لبضعة اعوام ، **وانما يتطلب قرنا او قرنين كي يبلغ نتائجه النهائية** . انما يكفي ان تطرح المسألة بشكل ملائم ، وان تكون الشروط التي تسعى من خلالها التجربة مطابقة ، كي نحصل منذ السنوات الأولى على النتائج المرجوة من كافة الوجوه . ونظن ان طرحنا المسألة طرحا صحيحا عندما حددنا العقيدة . وينبغي ان ندرس من الآن الشروط التي **يجب ان تمر التجربة من خلالها** .

ان للمسألة الصهيونية من الأهمية والحجم والتعقيد ما يجعلها تتطلب الموافقة المعنوية والدعم العاطفي للعالم المتمدن من اجل تحقيقها . **وان استقرار يهود في البلاد التي تضم مهد الديانة المسيحية وأقدس مقدساتها يخدم مصالح المسيحية الكبيرة والعليا** ، فخلال الفترة الانتقالية ، وقبل ان تصبح الصهيونية حقيقة راهنة ، كان يخيم على وضع اليهود في العالم غموض مخيف ، لا يمكن ازالته ، الا اذا اصبح الهدف الصهيوني واضحا كل الوضوح بالنسبة للجميع ، فمشكلة الاقليات اليهودية في عدة بلدان من العالم يجب ان تتناغم والسياق الصهيوني تجنبا لكل مفاجأة ، لأن البلدان التي لا توجد فيها اقليات يهودية ، توشك هي ذاتها ان تتلقى عواقب التطورات الصهيونية **لأن الصهيونية باضطرارها لاستعمال الوسائل الهائلة ، ستكون بحاجة الى مؤازرة الدول الكبرى** ، من اجل ان تتمكن فاعليتها من النمو بدون ان تسبب معوقات واضطرابات لدى الآخرين . وباختصار **فان الصهيونية تتطلب تفاهما عالميا عريضا في مقابل ان تجد الوسائل والاسباب التي تمكنها من انجاز ما هو علة وجودها** .

من بين المشكلات الكبرى التي تتعلق بالصهيونية توجد مشكلة تحيط بها جميعا ، وهذه المشكلة الاساسية هي ، المشكلة الدينية ، فمسألة الاماكن المقدسة بحد ذاتها التي تسبب المنازعات ، والتي تقسم العالم المسيحي وتحول دون ايجاد الحلول ، ستصبح بشكل

خاص اقل حدة ، اذا استطاعت التناقضات القائمة بين اليهودية والمسيحية التي تعذر تذليلها منذ الف عام ، ان تتوجه نحو هدف لا يمكن ان يشكل في الوضع الراهن للاشياء عامل مصالحة ، غير انه يصبح في المستقبل عامل تهدئة وتمهيد من اجل السلام . ان موافقة العالم المعنوية على الصهيونية مشروطة بالدرجة الاولى بالجهود التي ستبذل لتذليل تلك التناقضات .

كان موقف المسيحية حيال اليهودية واضحا خلال اكثر من الف عام ، واننا لا نشاطر بعض المؤرخين اليهود الراي ، بأن هذا الموقف كان عدائيا ، اذ لو كان كذلك ، لتم استئصال اليهود بلا ريب ، غير انه يوجد بالحقيقة استياء كبير ، انتقل من المتدينين حتى شمل الاشخاص الآخرين . فالكاثوليكية كعقيدة ، اعتبرت اليهود حتى الايام الاخيرة (كشعب شاهد) .

ان كلمة (شاهد) تحمل اكثر من معنى بالنسبة لفكرة باسكال العميقة"[١]" سواء فيما يتعلق بحقيقة الانسان الاله ، او في اللعنة التي انزلت على الشعب الذي لا يؤمن بأقواله ، انها عقيدة الشعور المعقد : احترام ومحبة بعيدان حيال شعب انجب ابن الرب ، ممزوجان بالخوف والنفور بسبب هول جريمة صلبه . ان القداس الذي يقام في الجمعة المقدسة يعطي لذلك الشعور انطباعا بالهلوسة .

لقد انفصلت البروتستنتية عن التقليد الكاثوليكي القديم بسبب هذا المفهوم ومفاهيم اخرى ، وخطت خطوة نحو اليهودية بتخريب (اللحمة الداخلية) الرومانية ، وبتخليها عن (امكاناتها التسلسلية) ، وهذا لساجلاتها المتحررة ولتحكيم سلطة العقل المميز ، ولقوة المشاعر التي بنت نفسها على اساسها ، وهي في عقيدتها لا تتخذ موقفا حيال اليهودية ، واذا كانت دراسة الانجيل تلقن عاطفيا بعض العطف حيال

---

١) نحن لا نجهل أن فرضية (الشيطانية) عند اليهود ، شائعة في بعض الأماكن الكاثوليكية ، غير انها لا تبدو لنا انها تعكس راي القسم الهام من الكاثوليكية ، إذ ليس هنالك من عقيدة تستند إليها .

اليهود العبرانيين ، فانها تؤكد بشدة على الفارق الذي يفصل الاسلاف الاقدمين عن الخلف العصريين ، غير ان البروتستنتية تنفي عن اليهود الأحدية التي لا تزال الكاثوليكية تضمرها لها ، ترفض توحيد اليهود الذي تحافظ عليه الكاثوليكية ، فتارة تجل هؤلاء ، وطورا تحتقر اولئك ، وقد دفع اليهود بسبب معاداة البروتستنتية للسامية ثمنا باهظا جدا ، واوقعتهم في حالة من الاضطهاد مشينة ، تدعو للرثاء وخاصة في المانيا والولايات المتحدة الاميركية .

أما الديانة المسيحية الثالثة الكبرى ـ الكنيسة الارثونوكسية المنفصلة فكانت علاقاتها باليهودية **عدائية من الناحية السياسية ، غير انها كانت ودية من** الناحية الفلسفية (مع فلاديمير سولوفيف مثلا) وبالحقيقة كان هنالك غياب لكل عقيدة ، فاليهودية لم تكن بالنسبة لروسيا المقدسة خاضعة للربوبية ، وانما للسياسة ، والمذهب الروسي الذي لم يكن لديه الانضباط الروحي للكاثوليكية ، ولا الاساس القياسي والعقلاني الموجود في البروتستنتية ، لم يستطع تحمل الصمود اليهودي الذاتي ، ولهذا كانت البلاد الوحيدة التي تنصر فيها يهود ، وأدت الاوامر والنواهي الروسية الى عزل اليهود وطردهم نحو التخوم الغربية للامبراطورية سواء الكاثوليكية او البروتستنتية .

يستنتج من هذه الخطوط العريضة لذلك العرض ، أنه اذا كانت كل القوميات تعنى بالاماكن المقدسة ، وتضع اشتراطات قاسية مدروسة ، وان كانت للمراقبة فيما يتعلق بالمقدسات المسيحية من وجهة النظر المذهبية ، **فان الصراع لن يتواصل سوى بين اليهودية والكاثوليكية** . يتواصل الصراع ، لأن المذهبين يجتازان فترة من الأزمات العميقة . نستطيع التسليم بان الكاثوليكية في القرن العشرين ، لم تعد تلك التي كانت في القرن الثامن عشر ، غير انه من الصعب ان ننكر بان افكار الكنه اليهودي لم تؤثر فيها . فمنذ « السياسة الاجتماعية » التي انتهجها ليون الثالث عشر وحتى « المسيحيين الحمر » لهذه الايام ، ومنذ تعيين الاساقفة الملونين ، وحتى سلمية وديمقراطية بعض الاماكن الكاثوليكية ، اجتاحت روما افكار غير رومانية ، فالى اين سيؤدي هذا التحول ؟

لا شك في ان المذهب الكاثوليكي الثابت لن يتأثر ، الا ان المسألة اليهودية التي ليست قسما من العقيدة الدينية الكاثوليكية ، لا يمكن ان يصار الى امتحان نمطها من جديد . ولكن ، هل بقيت اليهودية جامدة ؟ سندرس في الصفحات القادمة التيارات العميقة التي مرت بها منذ قرون تحت غطاء كثيف من الدروع الواقية التي نسجتها .

فهل يصمد هذا الدرع طويلا ايضا ، امام الاحداث الخارجية المتأتية عن تطور اليهود ، وامام الاحداث الداخلية ـ فالميول العميقة عند بن غوريون (بيروبتشيفسكي) تعبر عن تمنياته بان تصبح اسرائيل وثنية ؟ ، من المؤكد بان تلك الظاهرة لا يمكن ان تتم في بضع سنوات ، ولكن ، من يستطيع ايقافها ، ان هي بدأت ؟ والثغرة التي تحدثها في التخصصية تزداد اتساعا ، فالى اين ستصل تلك الوثنية ، وماذا ستكون نتائجها ؟.

لقد حان الوقت لطرح السؤال **فيما لو بقيت التناقضات المسيحية ـ اليهودية ، وبخاصة الكاثوليكية مستمرة** . كانت هنالك اسباب كبيرة عديدة تقتضي من الكاثوليكية ان تعلم بان اليهود الذين قاموا بالاضطهاد هم في طريقهم الى الزوال . وقد فهمت الكنيسة التطور الذي بدأ يرتسم على العالم لانها بقيت صارمة بعقيدتها في نفس الوقت الذي اخذت به تحول فاعليتها نحو الضرورات الجديدة ، فينبغي والحالة هذه على تلك الضرورات الجديدة ان تقودها الى موقف جديد . **ويمكن للاسامية الكاثوليكية ان تتكون عند الاقتضاء في بولونيا او في هنغاريا ، او بدرجة اقل بكثير في فرنسا ، اما في الولايات المتحدة فتنعدم لانها تكون معاكسة لمصالح الكنيسة**[1] ، ولا تتمكن روما من تجاهل هذه الوقائع الجديدة التي لمسها بعض الاساقفة : فأسسوا جمعية اصدقاء اسرائيل ، واقتفى اثرهم بعض الشخصيات الكاثوليكية من امثال السيد م . بولسيرفن بابداء تعاطف ظاهر حيال

---

١) يؤكدون ان الجماهير الاسرائيلية اقترعت لصالح الدوائر الكاثوليكية في الانتخابات التشريعية الالمانية التي جرت في الرابع عشر من سبتمبر عام ١٩٣٠ .

اسرائيل ، ومن الجدير بالذكر ، ان تلك المحاولات قد تلطخت بالاثم منذ نشأتها ـ الامل الوهمي بجعل اسرائيل تتراجع عما كان يسرهم تسميته (اثم الالف عام) . غير انه ، اذا لم يكن بالامكان تحطيم (عدم الوفاء المتغطرس) اليهودي بقوة متسامحة تأتي من الخارج ، فان تأثير العامل الداخلي سينمو بحرية في جو ملائم ليصبح السائد في النهاية .

اذا ارادت اليهودية ان تولد من جديد كأمة ، فهي مدعوة للمباشرة بمراجعة كافة المفاهيم التي عاشت عليها خلال الفي سنة . لقد اضحت مجتمعا دينيا عوضا عن الشعب الذي كانت تشكله في الماضي ، ويتوجب على نهضتهم السياسية اذن ، ان تعود الى الوراء ، وبالطبع نحو حكومة ربانية يشرف عليها رجال الدين ، فالصهيونية اعطت بعلمنتها وبتحييدها للمواد الدينية المهدئات الكافية لهذا الموضوع ، غير ان هذا ينطوي على بعض الاشياء ايضا ، **اذا الغيت بالفعل الهوية الكاملة بين التكيف القومي والسياسي من جهة ، وبين المميزات الدينية من جهة اخرى ، فان هذا يعني الزام الصهيونية بتقبل بعض الاشخاص الذين يعتنقون ديانات اخرى غير اليهودية في صفوفها** ، ومما لا شك فيه ان عدد هؤلاء الهراقطة سيكون محدودا . فالديانة اليهودية بدماثتها الرائعة منذ العقلانية شبه البروتستنتية التي نادى بها ابن ميمون[1] في زمنه المفصول ، وحتى الورع الشطحي لليهود البولونيين او القبائل اليهودية اليمنية ، هي بالتأكيد التي تتلاءم جيدا والعقلية اليهودية . **غير ان لا شيء يتنافى مع الصهيونية ، اذا كان في داخلها ديانات اخرى الى جانب اليهودية سواء الكاثوليكية ، البروتستنتية ، الارثوذكسية ، حتى والاسلامية ، فضلا عن ان هذا الامر لا بد وان يكون كذلك ، لأن الحياة العالمية تفرض بعض الضرورات** ، واننا نؤكد على الحكمة **التي تحتوي عليها تلك الفرضية التي تنطوي على الزام محبب**

---

١) عالم وفيلسوف يهودي ولد في قرطبة (١٢٠٤ ـ ١١٣٥) حاول أن يثبت التطابق بين الايمان والعقل .

للدولة الصهيونية المستقبلية ، في ان يكون لها مثلا ، ممثل دبلوماسي كاثوليكي في حاضرة الفاتيكان يتميز بوطنية صهيونية لا يرقى اليها الشك ، فضلا عن ان هذه الهوية اللاعرقية واللادينية ، هي الآن حقيقة ملموسة في فلسطين ، حيث يوجد اطفال ولدوا في الديانة المسيحية اثر زواج مختلط ، يعتبرون يهودا من الناحية القومية ، دون ان يكونوا كذلك من الناحية الدينية ، وتصبح تلك الظاهرة عكسية ايضا حيال انواع اشخاص من اصل لا يهودي ويعتنقون الديانة الاسرائيلية . ولا نغالي اذا جزمنا بان الوطن الصهيوني هو بوتقة يدخل فيها اكثر من عنصر ، ويخرج منها شعب يكون بعيدا عن شعب الغيتو في اوروبا الشرقية ، وبعيدا كذلك عن الاسرائيليين المنتسبين الى المجمعات الليبرالية الملقبة باللوثرية في برلين او في لندن ...

كما ان الاذعان المعنوي العالمي للصهيونية يحتوي كذلك على العناصر الروحية في المقام الاول ، واهم تلك العناصر الروحية اي الدينية هي بلا شك الكاثوليكية ، وليس من الضروري ان ترتبط الصهيونية بالفاتيكان بحلف شكلي ، اذ ليست الارتباطات الفعليةهي التي تكون اقوى من سواها ، فالاتفاق الضمني المرتكز على المصالح المشتركة يكفي . ان الانتشار من اوروبا الشرقية وحتى الجنوب الغربي الاسيوي ، يخلق شروطا مناسبة لتحقيق الصهيونية ، ويشكل الخطوة الاولى على طريق المصالحة اليهودية - الكاثوليكية .

غير انه ، إلى جانب العناصر الروحية ، توجد العناصر المادية ، حيث يعتبر الدعم السري لها امرا لا بد منه لانجاز المهمة الصهيونية ، وينبغي ان يتواكب الاذعان المعنوي في حالات عديدة مع التعاون الناجع والفعال .

بوسعنا ان نقسم الدول الى ثلاث فئات مختلفة من وجهة نظر الهدف الصهيوني ويأتي على رأس تلك الفئات ، بريطانيا العظمى وفرنسا ، حيث لا مندوحة من ان يكون الدعم من اجل تحقيق الصهيونية منذ

البداية ، وسنخصص لهذا الجانب من المسالة فصلا من هذا الكتاب . ثم يأتي في الدرجة الثانية ، الدول التي تضم اقليات يهودية عالمية ، بمعنى ان تكون الاتفاقات الدولية ممنوحة لتلك الاقليات ، ويأتي في المقام الاخير ، الدول الاخرى ، حيث لا يوجد مسألة يهودية شرعية .

فيما يتعلق بفئة الدول التي تضم اقليات يهودية ، من المؤكد ان حكومات تلك الدول تحبذ الصهيونية ، اذا كانت الصهيونية فعليا في وضع يسمح لها ان تحل المسالة اليهودية ، وتزيل الجسم الغريب للاقلية التي تشكل عقبة منيعة في سبيل تحقيق الوحدة القومية . وقد دل موقف ممثلي الدول التي تضم اقليات ، على تفهم اكبر حيال تلك المسألة في اجتماع عصبة الامم الذي انعقد في آب (اغسطس من عام ١٩٢٩) .

ومنذ ذلك الحين ، نلاحظ ان المجالات التي اخذت تتعاون فيها الدول التي تضم اقليات مع المنظمة الصهيونية قد اخذت تتأكد . ويمكن لتلك الدول ان تقدم الدعم السياسي للصهيونية مقابل امكانية تخلي اليهود عن وضعهم الخاص ، وعن امتيازاتهم التي تلتزم بها الاتفاقات الدولية . ومما لا شك فيه ، ان يهود بولونيا ورومانيا سيمنحون في تلك الحالة حماية خاصة ، الا انه يمكن الاستعاضة عن الضمانات التي تمنحها الوسائل الدبلوماسية بضمانات شرعية وطنية داخلية تكون اكثر تأثيرا وفعالية ، وبهذا الاستبدال ، يمكن للطرفين المعنيين ان يفيدا من مميزات كبيرة وهامة .

ويصبح السباق بالضرورة اوسع ، اذ كلما تقدمت الانجازات الصهيونية ، كلما حققت اقتصادا وتوازنا داخليا شاملا لدى الاقليات القومية ، فاليهود يحتلون منذ قرون بعض الاماكن المرموقة ، ويقومون بوظائف مفيدة ، واذا تنظمت تنقلات جماعية غير متوقعة ، لا يمكن سد الفراغ الذي يخلفونه بسرعة ، مما يؤدي الى خلق اضطرابات داخلية ذات طبيعة اقتصادية ، يمكن ان تكون خطيرة ، وان التعاون المستمر الناجم عن نوايا حسنة ، وعن ميل متبادل يتمكن من تخفيف الصدمات وجعلها غير ذات تأثير .

ان الفئة الثالثة من الدول التي لا يوجد فيها مسألة يهودية قانونية ، تستطيع ان تقدم دعما لا يقل اهمية عن الدعم الذي تقدمه سواها ، لأن تلك البلدان هي التي تقدم قسما هاما من رؤوس الاموال ، ومن التقنيين ومن الكوادر التي تحتاجها المنظمة الصهيونية المستقبلية ، وان يهود تلك البلاد المندمجين بالوطن الذي اختاروه ، لم يرتبطوا في الجسم اليهودي الكبير ، سوى بصلات ضعيفة توشك ان تنقطع ، وربما لم يشاركوا في الصهيونية الا بالتصاق فيه بعض الفتور ، غير ان هذا الالتصاق ، عندما يكف عن ان يكون احتكارا انكليزيا ، يصبح مشكلة دولية كبيرة ، واذا ما سويت النزاعات الكبيرة التي لا تزال تجزع العالم اليهودي ، واذا ما ابدت القوى والكنائس بالذات موافقتها ، عند ذلك يمكن التصاق تلك الدول باسرائيلييها ان يزول ، وعندئذ لا يزيد دعم تلك الدول عن جو من التعاطف الخاص ، بينما الصهيونية بحاجة الى ذلك الدعم لتتطور تطورا شاملا ، ولتبلغ الهدف الذي تدعو اليه .

"القومية والتحرر لا يتناقضان"

ـ بيرنار لازار ـ

لا نستطيع ان نتبصر في الصهيونية خارج المسألة اليهودية ، فمن اجل ادراك معنى هذه ادراكا تاما ، ينبغي تحليـل تلك ، فالصهيونية ليست وحدها ، القادرة دون اية وسيلة اخرى ، على حل مسألة الشعب التائه منذ الف عام . وسنرى فيما يأتي ، ان النهضة السياسة اليهودية يجب ان تترافق مع بتر اجزاء بارزة من اليهودية ، وانما منذ الآن يجب ان نؤكد على نقطة : ينبغي على الاجماع اليهودي ان يؤازر في تحقيق الصهيونية ، وهو نفس الاجماع الذي يجب ان يسلم ببتر بعض اجزاء اليهودية العالمية . ستظهر بعض المفارقات وبعض التناقضات في تسليم كهذا ، غير انها ستسفر حتما عن دستور للشعب اليهودي[1] ينتج عن تطورات حدثت في داخل الجسم اليهودي . وينبغي اجراء دراسة سريعة للتيارات العميقة التي عبرتها اليهودية كي نلم بالمسألة الماما كافيا .

عندما نحاول تحديد القاسم المشترك لليهود المشتتين في مساحات العالم المأهولة ، نجد شيئا لا يمكن تفسيره ، يقيم على حدود الفكر

---

١) لقد استعملنا هذه الصفة هنا ، لنشير إلى مجموعة يعتبرها البعض دينية فقط ، ويعتبرها البعض الآخر مجموعة عرقية ، وآخرون يعتبرونها فلسفية محضة .

والشعور ، يسميه البعض « التخصصية » اليهودية ، ويعتبره البعض الآخر كنتيجة لانفصال شعب عن أرضه ، شعاره الخارجي الذي يظهر لكل العيون ، هو الدين . وفي اليوم الذي يتحول فيه اليهودي ، يقدم بشكل رسمي على فصم كل العرى التي تربطه بالاسرة الكبيرة التي تحدر منها ، كما انه ليس صحيحا ان نخضع التعقيد اليهودي للدين وحده : هنالك قوى اخرى تلعب دورها ، ويطول بنا الشرح ان نحن اوردناها هنا . وبدون ان نخوض في النظريات الميتافيزيقية التي تجرنا بعيدا جدا ، من الممكن ان نؤكد ، ان هنالك قوتين او سببين يمارسان تأثيرا متفوقا في الحياة اليهودية . واحدى تلك القوتين هي : **النزوع نحو الاندماج الذي يقوم بمهمة القوة النابذة** ، والقوة الثانية ، **هي الدين ، تلك القوة التي تندفع نحو المركز** ، ذلك القطب الجانب الفعال الذي يقاوم الردة ، وينبغي ان نحدد تماما قطبي المسألة ، **وندرس تاثيرهما على اليهودية تجاه الصهيونية .**

كان يوجد في كل الاوقات **قسم لا باس به من اليهود يتمنون الغاء نير التهودية والربانية الثقيل الذي يهصر الجسد ويضطهد النفس** ، وكان يتوضح في العصر الوسيط منزع متغير الشكل ، تارة تحت شكل اندماج صريح كالذي جذب اليهودية الى المدنية العربية المتألقة في اسبانيا في القرن التاسع ، وطورا شبه مسيحي مع السبتيين ، ومرة تحت الشكل الصوفي للقباليين الذين خلفهم الحديون التابعون لبعل شيم توب في القرن الثامن عشر . ومع ظهور منديلسون ابان حكم فريدريك الكبير ، وبشكل خاص ، مع ظهور الاعلان الفرنسي لحقوق الانسان والمواطن ، بدأت محاولة جديدة من الهروب الداخلي ، **واذا كانت النتائج العملية لهذا الاندماج ذات قيمة ، فانها مع ذلك لم تكن نهائية ولا شاملة .**

مهما كانت تلك الفترات من التاريخ اليهودي متباينة ، فقد تميزت برغبة الفرار الى داخل او الى خارج القانون اليهودي التلمودي والرباني المتصلب .

وحتى فجر الازمنة الحديثة ، لم تسمح الظروف اطلاقا لمحاولات

الهروب تلك بالنجاح نجاحا تاما ، اذ يوجد غموض في اساس هذا النزوح الى الاندماج . وعندما اكتشف اللاساميون من ذوي النوايا الحسنة ، اي من هؤلاء الذين يستمعون الى صوت العقل ، واثبات التخصصية اليهودية ، طلبوا من الاسرائيليين الاختيار النهائي بين اسرائيل وبين وطنهم الخاص ، واعترى هؤلاء شعور غامض بوجود شيء ما ، مخالف للشرعة الاخلاقية في هذا الانذار ، ولم يندمج سوى اقلية ضئيلة .

وحيال هذا الطلب المؤلم ذي الحدين الذي طرح امام اليهود الغربيين يبقى الغموض والرد غير القاطع ، هما خير طريقة للخلاص ، فمبدأ حرية الوجدان يجنب حتمية الاختيار ، فقالوا : « نحن فئة دينية وليست عرقية » . واي ضير ان هم زاولوا تلك الديانة بشكل سطحي ، وماذا يهم ان هي بقيت خالية من كل معنى ومن كل حقيقة داخلية ، وهكذا تجنبوا حتمية الاختيار الذي يستحيل من الوجهة الاخلاقية في الشروط الحالية ، فحققوا بعض المكاسب المادية : كالأمن ، والرفاه ، والسلام .

غير انه الى جانب هذه النزعات (الاندماجية) ـ الرغبة في الهروب التي لا يستطيعون الذهاب الى حد التخلي عنها ـ يوجد بالنسبة للسواد الاعظم القوة الموازية التي يشكلها مركز الجذب الذي لا يقاوم المتمثل بالديانة اليهودية التلمودية والربانية الحية ، الذي تحتوي على عنصرين . العنصر الثابت ، الذي يتقبله او يعانيه المؤمنون كمبعث للافكار الحرة يتخلص من كل تحديد قياسي ، كما انه اساس الفلسفة والميتافيزيقية اليهوديتين . والعنصر الآخر ، وهو الستار الذي غلف العنصر الثابت منذ عهد المنفى . واسمحوا لنا ان نذكر هذا المقطع من كتابنا « التائهون » ، وهو دراسة في النفس اليهودية (صفحة ١٤٤ ـ ١٤٣) حيث حاولنا تحديد هذا الستار .

« لننقب ، ولنتعمق في مفهوم المحلل والمحرم » . « من المسلم به ، ان اي نوع من العمل غير مسموح به في يوم السبت ، فاذا باضت دجاجة بيضة في يوم السبت ، هل يحل اكلها أم لا ؟ » (السفر الثاني من

التلمود البابلي) . فبقدر ما تصبح الوقائع التاريخية غير مؤاتية ، بقدر ما يكون التمييز بين (المحظور) و (المسموح) ، وبقدر ما تزداد المحرمات ، اعمل ، او لا تعمل ، حتى تصل بالانسان في النهاية الى حاصل العملية الحسابية ، المدهش هل ٦١٢ ـ ٢٤٨ يساوي ٣٦٥ ، او لا يساوي .

ينبغي ان لا نعتقد ان المقصود هنا هو نوع من السخط يجعلنا ننطوي على انفسنا بفعل خطر ابراز الاستحالات بطريقة نواسي بها انفسنا حيال التعاسات الخارجية بانصبابنا على عمل اي شيء كان ، علنا نسهى عن تلك التعاسات ، كلا ، **فقد صمم الاحبار اليهود بكل وضوح وتبصر ، وبعد ان تداولوا وفكروا برصانة ، صمموا على زيادة عدد المحرمات والتشديد عليها كي تصبح صارمة بقدر المستطاع ، مع انهم لم يكونوا يجهلون ان تلك المحرمات لم يكن لها اية قيمة حقيقية جوهرية ، الا انهم كانوا يشعرون ان مجموعها الصارم الذي يرصد بالخوف من الخطيئة السماوية الروحية ، كان يفيد منه اليهود المبعثرون والمشتتون في سائر ارجاء العالم ، يفيدون منه كمادة للالتحام تعطيهم تماسكا وترابطا فريدين ، وتقيم بينهم وبين بقية العالم جدارا منيعا لا يمكن اختراقه . وإذا ما حاول احد اليهود الفرار من جدار المحرمات هذا ، ومن الرهبانيات الصارمة ، عندئذ تنصب عليه اللعنة الرهيبة ، والجرم العظيم ، (الابادة) كما حدث لسبينوزا . وكان جدار المحرمات يحول ايضا دون تسرب اي شيء من الخارج . لا احد سوى اليهودي الذي ولد يهوديا يستطيع تقبل مثل هذا النير الذي لا يطاق ، وقد قال اساس القانون بصراحة ووضوح : « يجب اقامة جدار حول التوراة ، يجب تشديد الحراسة بالقرب من الحارس نفسه (التوراة ـ الكتاب المقدس) » .**

لم تكن لتلك الحراسة ، ولهذا الستار الا دور واحد مؤقت من الحماية ، الا مهمة عابرة من الوقاية ، الا انه اغنى عن العاملين المتمثلين باللب والقشر ، من أجل سلامة الكنه اليهودي ، **فلولا الستار**

الواقي ، ماذا كان تبقى من اليهودية عبر آلاف السنين من الاضطهاد ؟ واذا ما فسد الاساس ، فاية قوة تماسك تبقى لليهود امام اغراء الحضارة التي كانوا يعيشون في وسطها ، والتي كانت ستجتذبهم الى درجة ان تمتصهم ويندمجون بها نهائيا ؟

وهكذا فان تينك القوتين هما اللتان قضتا على الروح الجماعية اليهودية في بلاد الشتات ، فقام توازن ثابت ، اذ كانت الرهبانية الصارمة هي كل شيء عند البعض ، بينما ضعفت عند الآخرين الذين تقبلوا عالم الاممية ولم يتحولوا عنه ، حتى غدوا ملحدين كفرة ، واصبحت رسالة الدين لديهم من بقايا الماضي ولا يهتدون بهديها اطلاقا .

ثم اتت الصهيونية لتخلخل هذا التوازن ، وانتصبت امامها النزعتان والقوتان اللتان تشكلان طاقة واحدة ، وبدأ تهديد الصهيونية للاثنتين معا خطرا جسيما ، فبالنسبة للمتدينين بدت الصهيونية وكانها تريد ازالة الستار ، فقرروا بشجاعة العودة الى فلسطين ، ظنا منهم ان باستطاعتهم حماية الجوهر هنالك ، واهمال الملحقات التي لم تكن تعمل الا في بلاد الشتات ، وبالنسبة « للاندماجين » كانت تقول (فريتهم) التي تبدد الالتباس : لا مجموعات دينية ، وانما فئات عرقية . واوشك الصرح الذي اقامه الاندماجيون بجهد حثيث خلال قرن كامل ، والذي صمد امام الهجمات اللاسامية ، اوشك هذا الصرح ان ينهار تحت ضربات الصهيونية ، اذن ، كان هؤلاء واولئك يعارضون الصهيونية : المتدينون والارثوذكسيون يعارضون لانهم لا يثقون ، (بالوطن الصهيوني) ولا يرون فيه ، كما لا يبدو لهم في طبيعته قادرا على حماية الجوهر . و (الاندماجيون) لانهم اضطربوا في « السعادة » النسبية حيث نجحوا في الاستقرار بفعل الالتصاق والتناقض .

وفي اعتقادنا ان هذا الزوج من القوة يمكن له ان يسقط امام عقيدة واضحة وجلية ، خالية من التعقيد ، تلبي الحاجة المزدوجة لليهود في

العالم ، اي ان تكون قادرة على حل كل شيء بضربة واحدة في نفس الوقت فالوطن اليهودي يضمن بأي شكل ازالة كل المخاوف وكل التصورات التي تعتري المتدينين الارثوذكس بالنسبة لصيانة الجوهر والكنه اليهوديين ، وهذا يكون بالتخلي ليس عن (الستار) فحسب ، وانما حتى عن الشكل الخاص لمسيحيتهم ، وبقبولهم الجمع بين القدس الارضية المادية والقدس الروحية المثالية . ان العبقرية اليهودية المرنة ترضخ بسهولة للحقائق الجديدة ، شريطة ان تكون ثابتة ، والعرف العبري المدون بالتلمود يعطي امثلة وسوابق سواء بالتحولات الداخلية وسواء بالقواعد التي تنتظم به .

وان تلك العقيدة نفسها هي التي يجب ان تجتنب « الاندماجيين » ليسهموا بدعم العمل الصهيوني ، وان الانذار الذي وجهه اللاساميون من نوي النوايا الحسنة ، بالاختيار بين اسرائيل والوطن الخاص ، هو انذار منطقي في ظاهره غير انه يفتقر بالوقت الراهن الى اساس اخلاقي كما سبق وبينا ، فنحن لا نستطيع الاختيار الصحيح الا في بعض الحالات ، والشرعية الاخلاقية ترتكز على حرية الاختبار ، انتقاء حر بين امكانيتين كلتاهما جديرتان بالاحترام . فمن جهة ، عندما تكون امكانية كتلك ، ومن جهة اخرى ، لا شيء سوى الانكار ، عند ذلك يصبح الاختيار غير حر ، بل يصبح جبنا وهروبا مثقلا بالحالة البائسة لهؤلاء الذين ندعوهم للتخلي عن كل الزوايا التي نجدها في هذا التخلي من اي نوع كانت ، فيرفضون الاذعان لمثل تلك الخسة ، يلونون بالغموض فاليهود يتخلصون من كل لوم ، اما اللاساميون فبالعكس ، وبالاخص اذا كانوا ممن حسنت نواياهم ، يصبحون المحرضين على خيانة حقيقية ، غير اننا اذا استبعدنا انذارهم عن الظروف الخاصة التي تحدث حاليا فالوضعية تتغير ، ليس من امكانية للاختيار بين اسرائيل وهولندا ، بين اسرائيل والجمهورية الارجنتينية ، بين اسرائيل والمملكة اليوغوسلافية .

ليس هناك من مقارنة تجيز استعمال حرية الاختيار ، غير ان حرية الاختيار تلك تتمثل كاملة في فرضية دولة صهيونية ، وعندئذ ، عندئذ

فقط يصبح بامكان اليهود ان يختاروا بين تلك الدولة الصهيونية وبين الدولة البولندية او الارجنتينية او اليوغوسلافية ، اوسواها من دون ان يخالفوا الشرعية الاخلاقية .

ان وجود دولة يهودية ، أو الثقة التي تخلقها مثل تلك الدولة تحول القوة المزدوجة للاندماجيين والارثوذوكس ، وتجعلها تعمل لصالح الصهيونية .

يجب ان اسوق البينة المؤلمة الآتية :

ان اليهود شعب قانط ، وكما قال برنار لازار : « ان قنوط شعب مؤلف من فقراء ومضطهدين يتقبلون هبات اغنيائهم ، لا يثورون الا ضد الاضطهاد الخارجي ، وليسلاضد الظلم الداخلي ، ثوار في مجتمع الآخرين اما في مجتمعهم.فلا ، يمن عليهم اغنياؤهم بالصدقات لتنقلب تلك المنه الى موضع اعتزاز الفقراء .

واننانلاحظ الآن في الصحف اليهودية ، ان الاغنياء والموسرين هم الذين يصلون الى الامجاد . فضلا عن ان هذا القلب الكبير وتلك الروح العظيمة التي تعود بالفخر على اسرائيل ، ان لم تكن اسرائيل تفخر بها فضلا عن ذلك فانها تشكل سمات اخرى من القنوط اليهودي « يعد اليهودي متحررا في مجتمع للرقيق ... وهذا التحرر الاعتباري هو رق اجتماعي » ، فاليهودي لا يقول : يجب أن نحمي أنفسنا ، بل يقول : « يجب على الآخرين أن يحمونا » .. واليهودي الذي يريد أن يحمي نفسه ، يبدو في أعين الجماهير اليهودية كواحد من أعدائها ، وإذا تصرف أحد اليهود في السابق ، كما يتصرف الانسان الحر ، كان يجر المصائب على كل المجتمع اليهودي . كان إذا انتمى ، او حتى إذا أيد حزباً من الأحزاب وانكشف أمره ، يثير الانتقام والقصاص للجمهور اليهودي بكامله . لا يجوز لليهودي ان يتدخل في شؤون اخرى تتعدى الشؤون الادارية للمجمع لا يجوز له ان يتمرد ، وانما ان يشكو ، ان يستنجد ، ان يترك امر حمايته للآخرين .

ان الأسطر الآنفة صحيحة في معظم الاحوال ، اما الأسطر التالية

ستنكرنا بفرنسا إبان قضية درايفوس ، غير انها تشكل بالنسبة لعدد كبير من البلدان وقائع حديثة جداً :

« الخوف في كل مكان ؛ في الشارع ، في المسرح ، في المطعم ، الخوف من سماع الكلمة التي تصبح شتيمة ، عندما يتفق أن تقذف في الوجه ، الارتعاد أمام نظرة ساخرة ، أو حاقدة ، ترتبط بها المصيبة التي نخشى ان نسمعها وقد خرجت من الشفتين ، يحدث هذا في كل يوم تقريباً . ويخدش الحس اليهودي ، ويحيل اليهودي إلى حيوان منهك الأعصاب ، يجعل قلبه يتفطر إذا كان حساسا ، ويثير إزدراءه إذا كان مفكراً ، ويوقظ رغبة العنف والانتقام لديه إذا كان شريراً » .

« أية أشياء في التاريخ لم يعان منها اليهودي ؟ لم يكابدها ؟ أي خزي لم يحق به ؟ أية آلام لم يقاسيها ؟ أية انتصارات لم يختبرها ؟ أية هزائم لم يتقبلها ؟ أي إستسلام لم يبده ؟ أية غطرسة لم يقاومها ؟ لقد ترك كل هذا آثاراً عميقة في نفسه ، كما تترك مياه الطوفان ترسباتها في قعر الأودية » .

لقد تشوهت الروح اليهودية بهذا الطمي الذي يتطابق مع الستار الذي سبق وتكلمنا عنه . وإذا كنا نجيد اللغة العبرية ، بما فيه الكفاية لقراءة التوراة ، ليس ككتاب مقدس ، وإنما كقراءة تروح عن النفس ، إذا ما قارنا العبرانيين القدامى بيهود اليوم ننشده بالتغييرات التي حدثت في تلك الروح اليهودية ، بالرغم من التماثل الثابت في الجوهر ، أن الآف السنين من العبودية المعنوية أعطت لتلك النفس طابعاً خاصاً .

ان أول مهام الصهيونية إذن ، هي في تقويم وإعادة تربية الشعب من العبرانيين ، المناقبية والفكرية ، إذ لا أحد يشك في حتمية ذلك ، كما وأن الارتكاس حيال الماضي ، الماضي القريب ، ماضي الشتات ، هو أكيد وجلي . لقد فهم الجيل اليهودي الفلسطيني ذلك ، ودفعته ردة الفعل إلى صياغة كلمة (GALOWTHI) جالوشي يطلقها كشتيمة على كل يهودي يحمل روح وعقلية ونفسية الشتات ، على اليهودي الذي بقي مضطهداً عبر قرون طويلة والذي تمكن الاضطهاد والخوف من صهره

وصياغته على طريقتهما . فبدأ يؤكد في فلسطين نوعا من اللاسامية ذا تناقض ظاهري ، ينزع إلى القيام بعمل بناء بالرغم من دلالته السلبية فهو يريد أن يرفع الرؤوس ، وأن يعدل الظهور المحنية ، وأن يجعل الصدور الغائرة تستنشق الهواء بملء رئاتها . انه واثق من أن إنجاز المهمة الصهيونية الكبرى ، أي خلق شعب جديد حر ، بواسطة عناصر شعب قديم ، ومنهك هو نوع من الثورة الداخلية التي لا بد منها ، وقد سبق أن تمثلت ضرورة الثورة الداخلية تلك مرة في التاريخ اليهودي ، في سيرة موسى التوراتية ، عندما تاه مع الشعب اليهودي مدة أربعين سنة في الصحراء لئلا يموت الجيل القديم ، وليتمكن الجيل الجديد لوحده من الدخول إلى الأرض الموعودة ، ان هذه السيرة تحتوي على حقيقة خالدة .

والصهيونية تتطلب تجدداً داخلياً حقيقيا لأن العودة إلى أشكال اليهودية القديمة امر مستحيل ، إذ لا يوجد يهودي منصف واحد إلا ويدرك ذلك ، وهكذا بدات فلسفة صهيونية ترى النور ، لتحل محل هذه الأشياء الميتة ، وتشكلت النزعتان اليهوديتان الكبيرتان ، العقلانية الارسطاليسية عند الميمونيين والصوفية الكابالية عند زوهار ، تشكلت هاتان النزعتان بعد المنفى بزمن طويل ، ووجدت هاتان النزعتان شبه الدائمتين في العقل اليهودي وجدتا ترجمتهما الحديثة عند أحاد عام ، وعند مارتان بوبير . لم يكن للثاني تاثير كبير في الفكر اليهودي ، اما الاول الذي ابتكر واعاد التفكير من جديد في كل ما يتعلق بالغرب فهو يمثل تقريباً افكاراً عامة حظيت لبعض الوقت برواج كبير لما حملته لجماهير اوروبا الشرقية من توضيح لعظمة الفكر الاوروبي ومع انه كان عقلانياً على طريقته الخاصة ، فقد إتخذ موقفاً مناقضاً حيال الصهيونية التي إنتسب إليها ، وهو رابح من الطرفين على اي حال ، فقد نادى بصيانة العنصر المادي لليهودية في بلاد الشتات ، وباقامة مركز روحي بسيط في فلسطين . وما ان توفي حتى أخذ نجمه بالافول ، وقد اقتصر دوره على احتمال عصرنة

العبرية وجعلها تتكيف مع شكل الفكر الغربي ، وفي كل الاحوال تخلى الجميع عن تصوره الصهيوني الروحي .

اما فيما يتعلق بمتناقضات مارتان بوبير ، او احاد عام ، فقد وجد بن غوريون نفسه وكانه القديس يوحنا المعمدان بالنسبة للفلسفة الصهيونية الجديدة ، فرفع لواء ثورة فلسفية حقيقية مضادة لعقلية انبياء إسرائيل . ولم يمتد تفكيره لأبعد من أن يحيل اليهود إلى الوثنية ، ولم يكن المقصود بذلك بلا شك نوعاً من الهدي او الارتداد ، غير اننا إذا سلمنا بوجود حقيقتين ومنطقين وعقيدتين ، البعض منها خاص باليهود ، والبعض الأخر إنساني بمجمله وكان بن غريون يبغي من اليهود التخلي عن الحقيقة وعن المنطق وعن العقيدة اليهودية ، والتقارب من الوثنية . وتوضيحاً لفكرته ، لنفترض انه كان يعيش في مملكة إسرائيل ، وكان مشايعاً لملوك السياسة الحذرين الذين كانوا يسعون للتحالف المصري ضد خطر البابليين ، وحارب الأنبياء ورجال الدين المتعصبين والقوميين الذين يتسمون بالعنف ، والذين كانوا يفضلون خسارة البلاد على ان يبحثوا عن حليف أجنبي ، ومع ان بن غوريون لم يكن يكتب سوى بالعبرية ولجمهور يهودي فقط ، فان فلسفته لم تثر تلك العاصفة من الاستنكار التي كان يمكن توقعها . بل على العكس فان النفوذ الذي كان يمارسه تفكيره ضمن العالم اليهودي ، يدل على أن اليهودية حية ـ نسقط مز الحساب العناصر « الاندماجية » ـ ومهيئة لان تبدا طريقاً جديداً ، ولا يمكن للصهيونية ان تعني حتى بالعودة إلى التفكير بالشكل القديم لدولة رجال الدين ، كما وان موجات التجارب التي مورست في فلسطين من اجل اعادة خلق الشيوعية الزراعية القديمة قد اهملت او كادت . واصبح من المؤكد ان إسرائيل تطمح في سياستها إلى التخلي عن تخصصيتها ، وإلى تنظيم حياتها على اساس مشترك مع كل الشعوب المتمدنة ، وهذه النهضة لم تكن سياسية فحسب ، فالصهيونية هي بعيدة من التشبه : انها تقيم لكل القيم التي تحيا عليها إسرائيل منذ الفي سنة ، وهي مضطرة

لان تغير كل شيء ، وقد فعلت دون ان تلغي شيئا ، وينبغي على الذي يشكل الأساس وسيبقى كذلك ان يتكيف مع هذه الضرورات المستجدة ، كما حدث في الازمنة الغابرة وانحنى قانون الصحراء أمام التزامات المعيشة الحضرية في فلسطين .

ان الثورة التي بدات ترتسم في النفوس هي ثورة عظيمة ، ويمكننا القول انها اكبر من كل الثورات التي عرفها اليهود منذ المنفى ، ولا يمكن ان تكون ناجزة بفعل العقل المحض ، لان الوثنية بقصد العمل الصهيوني ، تتطلب زخما عاطفيا ، لا يمكن لشيء عظيم أن يتحقق في إسرائيل بدونه ، تتطلب حماسا مكثفا لا غنى عنه ، مع ثقله المكثف الذي لا يقاوم ، ليسمح باختراق المضيق الصعب اختراقه في البداية .

والصهيونية تحتوي على موهبة تثير حماسا شعبيا متواصلا .

ان غير اليهود ، وبخاصة اللاساميين ، ينظرون إلى اليهودي كمن ينقصه حس ومفهوم الدولة ، لدرجة انهم يظنون بان اليهود عامة ، بما فيهم العناصر الأكثر تاثرا بالغرب ، يملكون نزعات ثورية هدامة ومعادية للمجتمعات ؛ لان الطبقات الدنيا لتلك النزعات تعبر عن نفسها بالرفض لكل سلطة ، وبالنفور من كل نظام وتنظيم سياسيين ، ولربما كان لديهم بعض الحق بهذا التعبير .

ومهما يكن من امر ، فان الجماهير اليهودية التي يعتبرونها مناهضة لكل شيء اسمه دولة ، قد هللت للاعلان الصهيوني بهتافات الحماس « يحيا الملك » « الموجهة لتيودور هيرتزل ؟ ... ان عفوية تلك الهتافات التي انطلقت بحماس يتعذر وصفه ، لجديرة بالاهتمام . غير ان الشيء المميز اكثر من سواه ايضا ، هو في تلك الجماهير التي ادعت الثورية دفعة واحدة وبشكل جماعي وفوضوي ، وكانها اجمعت على شكل حكومي يمثل اقصى

السلطة » ، وبغريزة تبدي احتجاجها على هذا النحو ، ضد النير المعنوي لعقلية انبياء إسرائيل ، الذي دام الف عام .

لقد استرعت انتباهنا ، تلك الموهبة البعيدة النظر التي تثير الحماس ، والتي لولاها ، لما تمخضت ازمة اليهودية الداخلية ، عن الصهيونية وعن كل ما يفترض ويسمى القوة المعنوية .

ومن أجل أن يكون الحماس فعالا ، يجب أن يدوم بعض الوقت ، وأن يصار إلى تغذيته بما فيه الكفاية ، فالحدث الذي أتينا على ذكره يعود إلى عام ١٨٩٧ ، أي إلى تاريخ ولادة الصهيونية بالذات ، والحدث الذي سنسوقه الآن ، لنبرهن عن الحقيقة الثابتة لهذا الحماس يعود إلى نهاية عام ١٩٢٩ فأحداث آب (اغسطس) لعام ١٩٢٩ ، التي نجمت عن تقلص الدعم الانكليزي وعن العدوان العربي ، نبت الذعر في دنيا اليهود ، وجعلت من المهمة المادية امرا مستحيلا ، وكانت بالنسبة للعقول الحكيمة بمثابة إنهيار حلم رائع ، غير أن ردة الفعل ، لم تثر الذهول إطلاقا لدى يهود فلسطين ، فالبأس لم يعتر أحدا ، بل على العكس ، تولد إنطباع لدى الجميع ، وكأنهم أحرزوا إنتصارا وبقي الشبان في مواقعهم كالمعتاد ، ورفض الطاعنون في السن ، الذين كان يراد إجلاؤهم إلى بلدان اخرى ، خوفا من مذابح جديدة ، رفضوا المغادرة باصرار وشاعت بين الجميع الفكرة الآتية : « لقد إصطدم مجرى تاريخنا في السابق باسبانيا الكاثوليكية التي أحرقتنا بناء على أحكام صادرة عن محاكم التفتيش ، وروسيا الأرتونوكسية ، قتلتنا بجنودها من القوزاق . فلا هذه ولا تلك عاشت بعد اضطهادنا ، وستكون غلطة إنكلترا أن كان يسرها أن تحذو حذو إسبانيا وروسيا . لقد انتصرنا لاننا نجونا من قبل . وسننتصر في هذه المرة كذلك . كنا نتألم ونموت في سبيل مثلنا ، ولكن بدون هدف اكيد ، أما الآن فنحن نملك ذلك الهدف الأكيد : انه بناء بيتنا ، بناء مقرنا القومي ، بناء وطننا .

إن هذه الأسباب التي تبدو تافهة في الظاهر ، أحيت في إسرائيل هذا التصميم الداخلي القوي ، الذي لا يعني سوى عزم راسخ مستمد من

حماس ، لا يقدر شيء على إختراقه .

إن الصهيونية التي اتينا على معاينة جانبها المعنوي والروحي ، هي مسألة السياسة الأوروبية في الشرق الأوسط ، وهي لا تستطيع أن تكون بمعزل إطلاقا عن مجموع المشكلات التي تثيرها تلك المسألة ، فهنالك مسألتان مترابطتان تطرحان نفسيهما مباشرة ، وسنعالج كل واحدة على حدة : مسألة السياسة الشاملة والمسألة العربية ـ الاسلامية .

إذا كان لدى السياسة الأوروبية مشاغل مباشرة ومستعجلة ، أكثر مما هي عليه مسألة الشرق . فان تلك المسألة لا تعدو كونها قضية نجد أنفسنا مضطرين في أحد الأيام إلى التصدي لها . ان المخرج الملائم للحلفاء في الحرب الكبرى الغى ما كانت عليه تركة الرجل المريض (تركيا) في القرن الأخير ، ولكن بعد أن حصلت التصفية ، شاهدنا مشكلة جديدة للشرق تحل محل المشكلة القديمة ، لا بل أكبر من تلك التي زالت . كانت الامبراطورية العثمانية ستاراً يحجب عن النظر المسائل الأخرى المتجمعة تحت اسم الشرق العام . وتأتي بالدرجة الأولى القضية العربية الواسعة ، ثم القضية الفارسية ، وبعد ذلك القضية الأفغانية ، وتشكل تلك البلدان مساحات تبلغ نصف مساحة أوروبا ، يعيش على أرضها عشرات الملايين من البشر ، يجد الغرب نفسه الآن على إحتكاك مباشر معهم .

وإننا لا نبالغ إطلاقا في مدى أهمية تلك القضية ، إذ يكفي أن نفكر بالدور الذي لعبته تلك الأقاليم في العالم القديم .

« قال اليزيه ريكلوس ، كان وادي الفرات ووادي دجله يشكلان خطاً تاريخياً ذا أهمية رئيسية في العالم القديم ، فمن هنالك كان يمر الطريق الذي يضم خطوط الملاحة البحرية بين الهند وبلدان البحر الأبيض المتوسط ماراً بالوادي الذي يمتد عبر أسيا القديمة ، والمقطع العرضاني للخليج الفارسي الذي يتجه نحو الشمال الغربي ، والمنطقة الساحلية للبحر الأبيض المتوسط ، وبسلسلة الجبال التي تتصل بالوادي المنخفض لنهر العاصي .

ان الانخفاض الطبيعي يتواصل من بحر إلى آخر ، ومذ أن عرف الانسان توجيه السفن فوق البحار ، أصبح وادي الفرات صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وحل محل مسالك إيران الوعرة التي كانت تسير بين سلاسل الهضاب والجبال . ان المزايا متماثلة بين وادي الفرات ووادي النيل ، وان كان الفرات يشكل درجة أقل أهمية من النيل . وقد اكتملت حركة التاريخ بشكل متواز بينهما . فبابل هي المنافس الطبيعي لمصر فيما يتعلق بالتجارة العالمية ، كما وأن السيادة القوية لكل من البلدين كانت تحاول السيطرة دائماً على خطر غريمتها من أجل إزالتها أو منافستها . وفي أكثر من حقبة زمنية ، بدت بلاد ما بين النهرين (موزوبوتايا) متفوقة كمركز للمقايضات التجارية ، فمنذ خمسة وعشرين قرناً ، كانت بابل مستودعا لثروات الهند ، وقام الملك نبوخذ نصر ، الذي كان سيد تارادون على الخليج الفارسي ، قام باحتلال مدينة صور على البحر المتوسط ، كي يسيطر على كافة طرق المواصلات ، عندئذ أصبح وادي الفرات الخط التجاري الرئيسي في العالم ، حتى انه فاق باهميته طريق البحر الأحمر وطريق وادي النيل » .

وهكذا أصبحت تلك المنطقة تضم كافة أفريقيا السوداء ، وبلاد العرب الساميين ، والعراق وبابل المهجنتين ، وبلاد الفرس الآريين والشرق الأقصى . تلك هي منطقة الشرق الأوسط التي كانت مركز العالم القديم ، ذلك العالم ، حيث إزدهرت مدينة تدمر ، وحيث بررت عدن تسميتها الشهيرة بجنات عدن ، حضارات زالت ، وشعوب أبيدت ، وآثار خالدة مظفرة لشرق كان مصدر الاشعاع . ان تاريخ تلك المنطقة لا ينطوي سوى على تغيرات هائلة ، الفرس ضد الآشوريين ، البابليون ضد المصريين ، اليونانيون والمقدونيون ضد الشرق ، حتى روما نفسها تدخلت ولم تتوقف سوى أمام الفرس . ثم حدث التفجر الاسلامي ، وتبعه الغزو السلجوقي ، إلى أن أعلن الأتراك العثمانيون الحاليون الصلح الثقيل العاجز . ان السلالات التي أنجبت حضاراتنا ، قد عبرت جميعها من تلك المنطقة من الشرق الأوسط ، التي أصبحت مهد الحياة ، ومهد الحضارة قبل

أن ترث أوروبا تلك التركة التي ترنحت ثم إرتمت في الانحطاط والسقوط .

أن هذه الأقاليم الثمينة بحد ذاتها ، والتي يتعذر تقديرها بذلك الامتداد الذي حققته نحو الشرق الأقصى ، ونحو أوروبا ، ونحو أفريقيا ، الذي ينطلق من ،كاب ، ثم يتفرع في الكونجو البلجيكية او في تشاد إلى فرعين : الفرع الفرنسي الذي يصل عبر الصحراء إلى طنجة ، والفرع الانكليزي إلى الاسكندرية ، والخط الذي ينطلق شمال غرب أوروبا حتى الخليج الفارسي ، والشريان الكبير الذي يمتد من حيفا مجتازاً بلاد ما بين النهرين وفارس ـ ليصل إلى أفغانستان ، ومن هنالك يتصل بكل نظام بخط السكك الحديدية الهندية . إذا تخيلنا كل ذلك يتشكل لدينا صورة ربما تصبح غداً حقيقة ملموسة .

ان الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، يشكل بالنسبة لآسيا جبهتها البحرية ، وجادتها العريضة بنفس الوقت ، كما أن هذا الساحل يشكل بالنسبة لأوروبا رأس جسر واسع نحو آسيا . وعلى طرفي هذا الأقليم الممتد من البحر المتوسط إلى جبال هملايا ، يتحرك شعبان : الشعب الهندي ، والشعب المصري ، وفي الداخل ، تستيقظ الشعوب على الحياة السياسية العالمية .

ان أحداث أفغانستان لفتت الانتباه العام خلال أشهر طويلة ، ففي سوريا إصطدمت فرنسا ، وفي فلسطين انكلترا ، ببعض الحقائق الأولية التي لا تعطي أية مؤشرات إيجابية للمستقبل ، فقبل الحرب ، ومنذ أكثر من نصف قرن ، بدأ نوع من النهضة في الشرق . وفي أوروبا ؟ أمام الحياة المتجددة ، كيف تتصور المستشاريات تلك القضية الجديدة لهذا الشرق الذي بدأ يتمخض ؟ هل تنتظر حتى يتحدد بدقة ، كي تعزم على إتخاذ قرار ؟ أم ستتكون لديها الجرأة ، فتتخذ من تلقاء نفسها المبادرة بالاجراءات ، فتعرقل ، وتركز ، وتوجه هذه الحركة التي بدأت تشنجاتها تبشر بانتفاضات مقبلة » ...

إذا لم تعمل أوروبا على بسط النظام ، والسلام ، والأمان ، على الأرواح والممتلكات وإذا لم تنفخ الحياة في تلك المناطـق ، وإذا استطاعت العناصر السيئة في الشعوب الشرقية أن تنطلق بحرية في غمرة هذا التردد وذلك الغموض الشاملين ، فان ثروات تلك المنطقة التي لا تحصى ، والتي تكشف في القرون الغابرة عن حضارات رائعة ، تبقى غير مستغلة ، وستبقى ثغرة في خريطة العالم القديم ، وسيبقى الحل المأساوي للاتصال بين الشرق والغرب ، بـين الحضارة القديمة والحضارة العصرية ، سيبقى هذا الحل غائباً إلى مدة طويلة ، وستنمو قضية الشرق وتنضج في خارج المراقبة الأوروبية ، وتضع أوروبا في يوم قريب أمام حل لم تكن تريده .

وإذا حاولنا التقصي عن أسباب الانحسار الجلي للسلطة الأوروبية في الشرق ـ مشروع قبول العراق في عصبة الأمم ، نزوع بعض الأوساط الفرنسية للتخلي عن سوريا سياسة حفظ التوازن الانكليزيـة في فلسطين ـ يظهر لنا سبب وحيد في أساس كل تلك الأسباب ، وهو يكمن بلا ريب في المعارضة والضغينة التي تفصل الدولتين حاملتي الحضارة الأوروبية إلى الشرق . ولا يخصنا أن نتحرى عن المصيب أو عن المخطىء ، فالانكليز يعتبرون طرد الأرمن ، وتقديم العون لمصطفى كمال ضد اليونانيين خيانة إرتكبها الفرنسيون . والفرنسيون يتذكرون بمرارة وسخط التصرفات السيئة التي قام بها عملاء الانكليز في سوريا منذ اليوم الثاني للهدنة . واننا نستطيع أن نكتشف من غير أن نرجع إلى الماضي ، انه لو قام تفاهم صريح من أجل سوريا وفلسطين ، تفاهم محدد في غايته ، ودقيق في هدفه ، لكان جنب فرنسا وانكلترا الحالة المتناقضة والمخزية التي وجدتا فيها ، والتي توشك أن تتمخض عن أخطر النتائج بالنسبة لمجمل السياسة الأوروبية في الشرقين الأقصى والأوسط . فاذا ما تصورنا مذهباً سياسياً لكل تلك المنطقة ، نفكر أن أول شروطه ستكون ، تفاهماً فرنسياً ـ إنكليزياً ينظم الواجهة السورية ـ الفلسطينية إقتصادياً ودفاعياً وهجومياً .

ان فرنسا مثل إنكلترا ، انهما تواجهان قوتان إسلاميتان كبيرتان تصطدمان بهما حيث توجد مشكلة عربية ، ولهذا السبب الوحيد ، تبقى مصالحهما متضامنة متكافلة ، لأننا عندما نقول مشكلة عربية ، نقول مشكلة إسلامية . هذا هو الجانب الثاني للمسالة الشرقية الجديدة التي تكلمنا عنها في بداية هذا الفصل من الكتاب . ويسمح لنا ، حتى قبل أن نتفحصها ان نؤكد إستحالة حل المسالة العربية ، إذا لم تحل المسالة الصهيونية في نفس الوقت .

في الجزيرة العربية ، ولد الاسلام ، والعرب هم الذين تولوا نشره عبر الدنيا ، وعملوا منه ديناً عالمياً عظيماً . لقد تضامن مع الكتلة العربية الهائلة كتل عديدة غير عربية ، ولكنها إعتنقت الاسلام ، فشعوب المالي (ماليزيا) في جزر السند ، والهندوس ، والأفغان ، والتتر على ضفاف نهر الفولجا وشبه جزيرة القرم في اوكرانيا ، والفرس ، والأتراك ، والبوسنيون في البلقان ، والبربر في مراكش ، والزنوج في أفريقيا الوسطى ، حيث يوجد مسلمون أكثر بكثير جداً مما يوجد عرب . وإذا أرادت السياسة الأوروبية أن تتحرر من العقبات الكؤود التي ترهق مستعمراتها ، ينبغي عليها أن تسعى لتفكيك هذه الهوية المصطنعة التي تتحرك ضدها : هوية بين المفاهيم (العربية) والمفهوم (الاسلامي) . وعندما تتجرأ على حل المسالة العربية فانها تحطم آلية التشابك الموجود بين المفهومين ، وتفتت الوحدة الاسلامية ، كما أن القوميات الاستعمارية الاوروبية تؤمن بهذا هدوءاً لم تعرفه منذ أمد طويل . أن نظرية الوحدة العربية ، هي خير علاج ، وافضل ترياق ضد الوحدة الاسلامية ، فهي لا تشكل خطراً أكثر مما تشكله القومية التركية الحالية ، إذ عندما تنصرف عن الدعوة إلى المشاعر الدينية ، ولانها هي على العكس تشكل عرقية اساسية ، تصبح عنصراً صحيحاً للتوازن السياسي في العالم القديم . ان تفتيت الهوية التي تجمع بين الاسلام والعروبة ، هو القادر على جعل الضفة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ما يجب أن تكونه في الحقيقة :

واجهة القارة الأسيوية التي تطل على العالم الغربي ، ورأس جسر لأوروبا نحو آسيا الكبرى .

ان الوحدة العربية تصبح قادرة على مقاومة الوحدة الاسلامية ، إذا ما نظمت سياسياً ، فايقاظ الشعور القومي العربي ، هو الذي يهيمن على المسألة . وينبغي أن لا يغرب عن بالنا ، أن تألق نجاحات الاسلام هو الذي ولد الايمان الجديد عند العرب بتشكيل الأمة الاسلامية : ان القومية الاسلامية تتفوق على الفكرة العائلية ، وعلى العصبية العشائرية ، أو القبلية التي كانت معروفة لحد الآن . فاذا لم يتراجع الغرب أمام تلك الديانة الجديدة ، وإذا ما أقر وأكد على وجود قومية عربية تمتد من البحر الأبيض المتوسط وحتى بلاد فارس ، قومية تختلف في جوهر تحديدها عن التتر والهندوس والبربر ، فانه يحرر بذلك قوة هائلة ، إذا ما تأطرت بشكل مناسب استطاعت أن تلعب دوراً في العالم المتمدن تؤهلها له أصالتها الرفيعة .

ان مصلحة أوروبا تقضي في أن تصبح هذه الامكانيات حقيقة واقعة ، لأن النهضة السياسية العربية صنفت نفسها بنفسها ، وقد نوهنا عن التشنجات التي تحرك سوريا وفلسطين ، والتي نجمت عن الاحتلالين الفرنسي والانكليزي . والآن أصبحت شبه الجزيرة العربية بذاتها تقتفي تلك الحركة .

« كتب الجاسوس البريطاني فيلبي ، الذي كان بالقرب من بن سعود وأحد أفضل الخبراء بالقضية العربية ، كتب في عام (١٩١٨ ـ ١٩١٧) : ان الجزيرة العربية التي رأيتها خلال تلك الحقبة كانت عربية DOUGHTY و NIEBUHR، ان العربية اليوم (١٩٢٨) هي بلاد مختلفة جداً ، ومهما تكن الدوافع ، ينبغي أن نعترف بأن القواعد التي كنا نحكم من خلالها في السابق على الأحداث العربية ، والنزعات التي كانت تتكشف عنها ، لم تعد ملائمة وقابلة للتطبيق ، فالعربية الوهابية قد دخلت من الآن فصاعداً في تناغم أمم العالم تقريباً مهما بدا ذلك غريباً »

« وإذا عرف عبد العزيز بن سعود وخلفاؤه ، ان يمسكوا دفة سفينتهم بيد واثقة في خضم متلاطم الأمواج ، وبين صخور السياسة العالمية العاتية ، وإذا تمكنوا من المحافظة على النظام والامن .. فان امبراطورية عربية ستتمكن من رؤية النور ، وستكون مؤهلة على رأس الدول الاسلامية لأن تشغل المركز الذي كانت تشغله تركيا في السابق ، مع العلم ان تلك الامبراطورية ستشكل خطراً كبيراً ، إذا لم يتم تعيين الحدود التي ينبغي أن لا تتعداها إطلاقاً .

ومن أجل أن نتجنب هذا الاحتمال المرعب الذي ينطوي على اخطار جسيمة مجهولة ، ينبغي على العالم المتمدن أن يتولى بنفسه تنظيم العالم العربي ، كي يجعل منه عاملا سياسياً نافعاً ، وليس عامل فوضى .

أن ملوك المقاطعات الفرنسية ، هم الذين صنعوا فرنسا ، أن بروسيا هي التي صنعت المانيا ، فالدولة لا تخلق بفتوى من العناية الالهية ، ولا بقرار وزاري ، ان تكوينها بطيء ، ونموها يتطلب زمناً ، وبقدر ما يكون هذا الزمن بطيئا ، بقدر ما تكون ثابتة وراسخة ، انها أشبه ما تكون بعلم التشريح ، فنقطة إنطلاق تكوين العظم ، تبدأ من الغضروف الذي يتشكل وينمو رويداً رويداً ، إلى أن يصبح عظماً كاملا قوياً ، وكذلك ، لا بد من نقطة إنطلاق من أجل تشكيل دولة المستقبل القوية .

ولكن إذا كانت نقطة الانطلاق ضرورة لا غنى عنها من أجل خلق الدولة ، فهذا لا يعني إنها الشرط الوحيد ، فهنالك ثلاثة شروط أخرى لا غنى عنها أيضا من أجل تكوين الدولة ، أي من اجل خلق كيان سياسي : بنية إقتصادية مستقلة ذاتيا ، شعب جدير بأن يحيا حياة إجتماعية ، وظروف خارجية ملائمة .

من البديهي ، أنه يلزم عشرات السنين كي يستكمل الشرط العرقي والشرط الاقتصادي ــ شرطان أوليان ــ إذن ، فمن السابق للأوان ، أن نتوقع التقاء الظروف الخارجية الملائمة مع إعلان دولة ما ، بل

ينبغي ترك هذه النقطة للمستقبل ، ولكن في الوقت الذي يحدد به الهدف ، يصبح من الضروري أن يرتبط بما يشكل شروطه التمهيدية ، وأول تلك الشروط بلا شك ، هو الشرط العرقي .

يوجد في شبه الجزيرة العربية عرق سام نقي من كل مزيج ، أعطى للعالم كما أسلفنا دياناته الرئيسية الثلاث ، وخصه بالمثل والأخلاق ، وتكمن فيه قدرة خفية لا حدود لها ، إذا ما تحررت أغنت العالم بالقيم الجديدة ، **وقد حمل هذا العرق الاسم العربي من بواتيه في الغرب وحتى مدينة بيناريس في الشرق وعين قادة عسكريين وملوكاً ومشرعين لحكم الشعوب التي أخضعها في طريقه . وإليكم ما قاله الكولونيل لورنس الذي عاش بين ظهرانيهم .**

« هؤلاء العرب ، شعب سامي صغير خبيث . انهم ينتصبون بشموخ ، وينفذون أحيانا إلى أعماق نفوسنا الساذجة ، لدرجة أن أعيننا إستطاعت أن ترى فيهم أعجوبة . انهم كانوا يحققون تصورنا عن المطلق بقدراتهم اللامحدودة نحو الخير ونحو الشر »[١] .

كان لهذا العرق ذي الملكات الرائعة آنذاك أقدار غريبة ، **فملحمته الرائعة في القرن السابع التي لا يعد لها شيء في المآثر البشرية ـ حتى ولا الحروب الصليبية ـ لم تسفر سياسياً عن أي شيء** ، ولو لم يشتهر هذا العصر إلى الأبد بالشخصيتين اللتين لا تتضاهيان ولا تنسيان ، **عمر بن الخطاب** ، **وأبو بكر الصديق** ، **اللذان يجب أن ينضم اليهما الفارس العظيم خالد بن الوليد ، لولا ذلك لانهارت الامبراطورية التي بنوها تارة بالفضيلة وطوراً بالسيف ، منذ ولادتها** . ان الأمويين وكذلك العباسيين ، لم يكن لهم إلا وجود عابر ، وان خلافة هارون الرشيد ، أو ولاية الحجاج ، لم يكونا إلا كالبرق في سماء التاريخ السياسي العربي . ان ابن خلدون العظيم ـ شعلة الفكر العربي ـ قد توصل إلى إدراك نظرية تقول : « ان الأعمال العربية

---

١) كتاب لورانس ـ الثورة في الصحراء ـ صفحة ٣٨٢ من النسخة الفرنسية .

تشتهر إذا أنكرها تاريخ الدول المسيحية » : وهذا يعني ، أن الحياة العادية لدولة ما ، لا تستمر لأكثر من قرنين . ان التاريخ اللاحق للأمة العربية لم يسفر ، ولن يسفر إلا عن التاكيد على ما بينه ذلك التاريخ في بدايته : لم يوجد ، ولن يوجد دولة عربية قوية ، فعندما إجتاحهم الاتراك ، الذين هم أقل منهم بكل شيء ، لم ينجح العرب إطلاقاً في أن يخلقوا لأنفسهم داخل الامبراطورية العثمانية وضعية يمكن أن تكون جنيناً لدولة : ان الليبرالية العثمانية التي أطلقت أيدي العرب حرة في العراق وسوريا وفلسطين ، لم تشهد سوى الانحلال البطيء ، وإنما الأكيد لتلك البلدان .

ان هذا النوع من عدم الكفاءة في تشكيل الدولة له أسباب عديدة مختلفة الدرجات ، وسيطول الشرح كثيراً ، إن نحن درسناها بالتفصيل هنا ، وإذا نحن حاولنا أن نبين ما هو المهم ، وما هو السبب الأساسي ، نستطيع القول أن المطلق العربي هو المسؤول الأول ، انها سمة متميزة جداً معلقة في طرف العصور إلى الأبد ، لقد صادفت تلك السمة في أفريقيا السمة القبطية أو البربرية ولم تستطع الاندماج معها ، وفي تخوم بيزنطيا ، وبلاد فارس إصطدمت بسمات أخرى إهتدت بالاسلام ، غير أنها لم تتمثل بها إطلاقا . ونستخلص من ذلك ، أن كل هذه الانجازات السياسية قد ألغيت من أساسها بسبب نقص التجانس الداخلي ، وان هذا التباين أصبح جاسماً بفعل المطلق العربي الذي يعد السبب الحقيقي لتقصير أجل الدول العربية .

إذن ، يمكننا القول ، أنه يوجد نوع من النقص في النفس العربية ، ذي طبيعة ميتافيزيقية ، مسؤول عن الفوضى السياسية ، وعن عدم تنظيم تلك السياسة .

ان خلق أمة مصطنعة في هذه الواجهة ـ رأس الجسر ـ تضم مزيجاً من الحثالات الأوروبية يبدو أمراً غير ممكن إطلاقاً ، وأن تجربة الجزائر وكذلك إتحاد جنوب افريقيا ، أو دول جنوب أمريكا ، تكشف لنا ، كم هو صعب تعايش العروق والثقافات والعقليات المختلفة ، وإلى أية درجة تتفاقم تلك الفوارق وتصبح

مصدراً لتضارب المصالح ، لا سيما وأن الهيمنة الاستعمارية على نوعين من الشعوب غير واردة ـ الشعب المحلي ، والشعب ذو الأصل الأوروبي الذي يسوسه وطنه الأصلي من بعيد .

ان إزدواجية الصيغتين والحضارتين التي تعارض كل منهما الأخرى قد برهنت عن نتائجها السلبية : اننا نعلم ، أن الثورة وأما الحرب واقعة لا محالة في مستقبل قريب . إذن ، فالذي يتوجب فعله ، هو خلق أمة موحدة لا تتناقض والعالم الغربي ، بل على العكس تغنيه بمواردها الخاصة . ومن أجل خلق أمة كتلك ، ينبغي أن نضيف إلى شعبها غير الجدير بالنهوض ، قسماً من شعب يوقظ ويحرك ويضم الشعب الأول ، إنما يجب أن يكون الشعبان من عرق مشترك ، وأن تكون لغتاهما متقاربتين ، وأن تحركهما نفس النزعات الفلسفية ، على أن يكون أحد هذين الشعبين قد إنتسب إلى مدرسة الغرب المسيحي الخصبة : (إلى العرب ، يجب إضافة اليهود) فالسامية هي الترياق الوحيد بالنسبة للشعبين معاً .

أن أحداثاً وإعتبارات دقيقة ومتطابقة تدحض مسبقاً الاستحالة المنتزعة لتقارب كهذا لا يعتبر إنصهاراً برأينا .

ان صلة القربى بين العرقين واللغتين مؤكدة وحقيقية لا تقبل الجدل وفلسفتاهما الصميميتان متماثلتان لدرجة أن الابداعات في النظم الدينية والميتافيزيقية تلزم عند الشعبين توازياً دقيقاً ، فالتلمود والتوزيقنا العبرانيين يتطابقان مع السنة والأحاديث العربية ، والكابالية اليهودية تتجاوب مع التصوف العربي ، ان وحدة الأسس النفسية تجعل التطورات الحديثة الحالية لدى الروحين التوأمين تولد ظواهر متماثلة تماماً ، ان النزعات الثلاثة التي تشكل في تركيبها اليهودية العصرية ، تتجمع هي نفسها تماماً عند العرب : النزعة المحافظة ، التي استمرت عند العرب منذ (التشيع) لدى الوهابيين ، إلى أنصار القديم (محافظون اقل تصلباً) تشبه إلى حد بعيد شكل الأجودات إسرائيل عند العالم اليهودي ، كما أن التطلع ـ نحو الجديد ـ المجددون العرب ـ هو الشقيق التوأم للنهضة اليهودية

الداخلية القوية ، التي تعد الصهيونية شكلا من اشكالها ، واخيراً فان اليهود « الاندماجيين » يشبهون العرب المتنصرين ، لا نريد ان نلح على هذه النقطة الاخيرة : بل يكفي ان نقول ، ان المسيحية تحتوي نسبياً على عدد من العرب يماثل عدد اليهود الاندماجيين : ان تلك النسبة ليست مفرطـة في اي حال من الاحوال .

ان التوازي لا يتوقف هنا . فالمجددون العرب كالصهاينـة اليهود ، يرتكزون معاً على نفس المبدأ الآتي : « ان الفكرة القومية تتفوق على الفكرة الدينية ومن هنا يظهر الالحاد عند بعض الصهاينة ، يقابله المزيج الهجين بعض الشيء بـين العـرب المسيحيين والعرب المسلمين .

وكما أنه لا يوجد تناقض بين الديانتين ، فالتألق البديع للحضارة العبرية ــ العربية في إسبانيا في القرن التاسع ، قبل أن يأتي المغاربة المتعصبون ، ويدمروها هو ضمانة أكيدة ، كذلك لا يوجد مجال أفضل من مجال اللغة يشير بوضوح وبصراحة إلى وحدة العلل ، ووحدة العلاجات عند اليهود وعند العرب ، فالعلة الأولى المشتركة التي تتطلب دواء مشتركاً موجودة في الأحرف الأبجدية الخاصة والمتميزة جداً التي ابتلت بها اللغة العبرية واللغة العربية على حد سواء ، والعلة الثانية المشتركة تكمن في الازدواجية المتماثلة باللغتين ، اللغة الفصحى عند العرب ، واللغة المقدسة عند اليهود[١] ، فهنالك عدد لا يحصى من اللغات العامية واللهجات عند العرب ، كما يوجد عشرات اللغات المحلية عند اليهود[٢] ، وبفعل إزدواجية اللغة قام نوع من التناقض في نفسية كل واحدة من الأمتين ، كما أضافت الأحرف الخاصة تناقضاً آخر بين كل واحد من هذين الشعبين وبين الحضارة الغربية الحالية .

---

١) ان العبرية التي يتكلمون بها حاليا في فلسطين هي لغة تبتعد في كل يوم اكثر عن العبرية الكلاسيكية .

٢) يوجد في العالم ٦٤٠ صحيفة تخص اليهود ، تطبع بـــ ٢٤ لغة مختلفة .

لهاتين العلتين ، علاجان يفرضان نفسيهما ، ففي العبرية ، كما في العربية ، تقوم فوارق مماثلة ومتطابقة بين اللغة المقدسة واللغة الكلاسيكية من جهة واللغة الشائعة العربية (الحكي) واللغة العبرية المحلية من جهة أخرى ، هذا ، وإذا اتبعنا نفس المثل بالنسبة للأبجدية اللاتينية فسنجد اللغتين الكلاسيكية والدينية من ناحية ، والعامية واللاتينية من ناحية أخرى[١] .

ان سهولة اللغة اللاتينية تجعلها يسيرة المنال لدى كافة طبقات الشعب في فترة التعليم الابتدائي التي لا بد منها ، فتتقارب ، اللغتان بفعل قواعد الكتابة ، التي يتفق عليها الطرفان ، كما أن هنالك كلمات كثيرة شائعة الاستعمال ، تبدو متماثلة في العربية والعبرية اللتين تصبحان أكثر تشابها مما هي عليه اللغة الفرنسية واللغة الايطالية الروسية والبولونية ، الألمانية والهولندية ، ويزداد التقارب بين اللغتين في الحياة المشتركة ، إذا تعلمهما الأطفال منذ سني الدراسة الابتدائية ـ لسانان في طور التشكيل ـ وبهذا نتمكن من أن نأمل بتعقل ، تشابه الهويتين في مدة ربما لا تزيد على القرن ، ومهما بدت عقبات الأبجدية اللاتينية المطبقة اللغات السامية ـ التي بدت لنا ملغية منذ زمن طويل ـ فان الفوائد المتعددة الأطراف التي تقدمها تلك الأبجدية كافية لأن تدعو لتبنيها : ان الأبجدية المشتركة بين الأمم المتحضرة هي وحدها القادرة على إدخال الحضارة العبرية ـ العربية في التداول الأوروبي الغربي ، وعلى شق طريق التقدم أمام الأطراف المعنية .

إذا أعطت تلك الهوية الفلسفية اليهودية ـ العربية أساساً ايديولوجياً للقومية السامية ، فانها ستكون غير كافية لنقلها إلى حقيقة الوقائع ، فالى جانب المسائل الثقافية والفكرية ، توجد المصالح ، التي إذا ما تطابقت ادت إلى الاتفاق ـ وإذا ما تعارضت أحدثت النزاعات ـ فالمنافسة الروسية ـ البولونية ، او المجرية ـ البلغارية (كي لا نتكلم

---

١) هذا لا يتعدى الأمنية بالطبع .

عن بلدان أكثر تقاربا) تشير إلى أية درجة من الكراهية يمكن أن تصل الصراعات بين عرقين توامين ، بحيث **أنه مهما بلغت صلة القربى العبرية ــ العربية ، فانها لا تستطيع ان تتحول إلى إتفاق ، إلا إذا كانت المصالح المشتركة متناغمة .**

ان تلك المسألة جديرة بالتفحص عن كثب . إذ ما أردنا أن نعرف فيما إذا كانت المصالح متناقضة أو متطابقة ، **من الضروري ان نحدد الأهداف لكلا الطرفين .**

لن نعود إلى الأهداف الصهيونية المحددة بالمذهب المبين سابقاً . ان الأهداف العربية الخالية من كافة الاعتراضات المضافة أعلاه ، **تتمثل** في خلق دولة **متحضرة** ذات سيادة (**بلاد عربية موحدة بأمرة قائد أوحد) .**

والحالة هذه ، فمن الأكيد أنه **لا يمكن إيجاد سيادة سياسية إذا لم يتحقق إقتصاد مستقل .** أن أكثر الأمنيات العربية شرعية هي التي يوحي بها هذا المقطع من قصيدة (عنترة) لشكري غانم .

لا شيء يستطيع إيقاف شعب يزحف .
انه يعلو : إني أراه يصعد من درجة إلى درجة .

من مشرق الشمس إلى مغربها بتوهج جعل النجم

الذهبي يشحب في كبد السماء .
(الفصل الخامس ، المشهد الأول)

ان هذه الأمنيات مكتوب لها الفشل الأكيد بغياب رؤوس الأموال والكوادر التقنية والمتخصصة بالزراعة والصناعة والتجارة والمصارف ، التي إذا ما وجدت ، خلقت القاعدة الاقتصادية ، التي لا يمكن الاستغناء عنها من اجل إقامة الدولة .

يبدو لنا من المستحيل أن تقوم دول أو مجموعات غربية بتقديم رؤوس أموال أو كوادر تقنية متخصصة من دون أن يكون لديها **ضمانة محددة عن مستقبل** استقلال البلد ، هذا الأمر الذي يجعل الوطنيين

العرب امام خيار فظيع : فاما ، ان يتخلوا عن نهضتهم ، واما أن يرتموا في أحضان الاستعمار . ان الدعم اليهودي فقط ، هو الذي يوفق بين الابقاء على سيادة البلاد وبين السير قدماً في نهضتها .

ولكن ، رب قائل يقول ، بأن مشروعاً كهذا ، يعد مجازفة لما يتضمن من جدة وجراة . **هل نستطيع جبل الأعراق كما يحلو لنا ؟ هل من الممكن ان نعد امة بشكل مصطنع ؟** ، هنالك خفايا ودقائق لا تحصى ولا يمكن أن نحصيها مسبقاً . هنالك نظام الانجذابات الطبيعية والدوافع الغريزية . فاذا قلنا لبعض الصهاينة الحاليين ، ليس المقصود إقامة وطن قومي يهودي خالص ، وإنما تهيئة السبل لانشاء دولة كبيرة في المستقبل في الشرق الأوسط ، هل يحاولون سماع ذلك ؟ والعرب من جهتهم ، في تلهفهم الواضح لرؤية طموحاتهم السياسية وقد تحققت ، هل سيقبلون بالانتظار قروناً طويلة قبل أن تتحقق تلك الطموحات ؟ **ان القوميين العرب كالقوميين الصهاينة ، يقرون بضرورة تعايش الشعبين ، ولكن كلا منهم يريد ان يشكل الأكثرية .**

وإذا ما أخذنا مشكلة الأكثرية من اية جهة من الحاجز ، وفي أي معنى كان ، فهي لا يمكن ان تكون إلا شؤماً . فاذا كان لدى كل الأكثرية نزعات تعسفية ، وكل أقلية تطمح لأن تتحول إلى أكثرية ولأن تصبح هي الأخرى بدورها تعسفية ، فالصحيح لا يمكن ان يكون إلا بسيادة مبدأ التكافؤ بشكل نهائي ، وإذا الغينا كل العداوة الداخلية ، فسيحل محلها منافسة خصبة ينتج عنها حتماً إنماء الصالح العام ، والتكافؤ كفيل بمنع كل شكل من أشكال التعسف .

ينتج مما تقدم ان لا فائدة عملية ترجى من المسألة ، وبعبارة أصح ، انها مسألة لا جدوى منها ، وليس لها من مغزى سوى من الناحية الفرضية ، فهي مستحيلة من الوجهة المادية بالنسبة للعنصرين العرب واليهود ، المبلورين ، والمسمرين نهائيا كل في حالته الراهنة .

إن كل واحد من العنصرين قد اتقن صنعه بواسطة تيارات داخلية

عميقة . لا يمكن ان يكون لها دور سوى التحول الجذري للاجيال المقبلة .

ان رجل الدولة يعلم أن الحياة هي تطور مستمر . وان افكار وعواطف الأجيال الحاضرة ، تصبح غير مفهومة بالنسبة لأجيال الغد . فالشبان اليهود والمولودون في فلسطين ، لن يفهموا إلا بصعوبة ، المهاجرين الجدد الذين تخلصوا كما تخلص أباؤهم هم من الغيتو في روسيا وبولونيا او في رومانيا . ماذا سيصبح هؤلاء اليهود في الجيل الثالث أو الرابع ؟ وماذا ستصبح الأجيال العربية المماثلة ؟ وأي تأثير سيخلفه عليهم برنامج تعليم أولي وضع باتفاق مشترك من الطرفين ؟ من المستحيل أن نتكهن بكيف ستصبح في المستقبل دولة البحر المتوسط الشرقية من الناحية العرقية ، حتى أنه من العبث أن نبحث في توقع طبيعتها وسمتها . فهل يجتمع سكان (تاراسكون) ، وسكان (ليل) ، وهل يوجد شيء مشترك بين (سلتي) حاد الذكاء وبين (بوميراني سلافي) بالكاد اصبح جرمانياً ؟ .

في دولة المستقبل العبرية ـ العربية ستتوزع الأدوار والوظائف الاجتماعية بالتساوي ، بين مختلف الفئات العرقية التي تتشكل منها تلك الدولة حسب القوانين الغامضة ، ولكنها السائدة التي تنظم البشر الذين يشكلون مجتمعاً . وإنما ينبغي أن نحرص على أن تكون وحدتهم المستقبلية معادلة لوحدة الأمم الغربية الكبرى .

ان الصهيونية مسألة نفسية أكثر منها إقتصادية ، وان التضحيات الكثيرة جداً التي تتطلبها سواء في القوة البشرية أو في الأموال ، لا يمكن أن تتبرر سوى بالاغراء العاطفي الذي تشكله المنطقة حيث توجد الذكريات التوراتية . ان الصوفية التي تتموج فوق هضاب صهيون والتي تتفتح في سير القديسين على ضفتي الأردن ، هي حتمية لانجاز مهمة فوق طاقة البشر ، تريد أن تعمل من نسل أصحاب الحوانيت ، وذوي الأعمال الذهنية شعباً يعمل في الأرض . غير أن العامل الاقتصادي يستمر في نفس الوقت إلى جانب هذا العامل العاطفي والروحاني ويتنافس معه ، ويقتضي أن يكون اقليم الأعمار الصهيوني

واسعاً بما فيه الكفاية ، كي يتمكن من إستيعاب كافة اليهود الذين يودون الاقامة عليه ، بدون أن يشكل هذا إزعاجاً لسكان البلاد ، وهكذا نتوصل إلى طرح السؤال التالي على انفسنا : إذا كنا نبغي فلسطينا كبيرة جدا أفلا ينجم عن هذا خطر إضعاف قيمتها الروحية والعاطفية ، الا تولد في هذه الحالة على ضفتي الفرات أشكال جديدة من الغيتو ؟ ان هذا الاعتراض مشروع وصحيح من الناحية النظرية ، لأن ذلك والحالة هذه يصبح عديم الفائدة . ان كل البلدان التي تشكل جزءاً من أقليم الأعمار الصهيوني الذي سنعين حدوده ، يوقظ الأصداء الروحانية اليهودية سواء في العقبة ، أو جبل الشيخ اولا ، وهي البلاد التي احتلتها جيوش الملك سليمان ، وسواء في الحرمون ثانيا الذي تبجله التوراة أيما تبجيل . ان المناطق الأكثر بعداً والواقعة فيما بين النهرين – الموزوبوتاميا – تحرك في نفوس اليهود ذكريات سحيقة فالفرات يسمى بالعبرية برات ، والدجلة يحمل اسم هيد يكيل ، وبين هذين النهرين ونهرين آخرين غير معينين ، كانت توجد المدن التوراتية ، وفي تلك المنطقة أتى إبراهيم أب العرق العبراني ، كما هو أب العرق العربي ، أتى إلى فلسطين ، وان المنطقة الواقعة شمال الضفة الغربية لنهر الأردن ، والتي تضم الجولان ، وحوران ، تكمل بتاريخها ، التاريخ اليهودي منذ عهد الرومان ، وكلما توغلنا إلى الشمال من الناحية الشرقية لمدينة دمشق ، حتى نصل إلى الفرات نجد معالم حضارة قديمة على طول الطريق الذي كان منذ الف سنة معبراً للهجرات البشرية ، وفي منتصف هذا الطريق ، وفي منتصف المسافة بين الموزوبوتاميا المهد العرقي للسلالة اليهودية ، وفلسطين مهدها السياسي ، وجد أعمدة تدمر الشهيرة التي تذكرنا بمدينة تدمر اليهودية القديمة ، وهذا يشكل دليلا لكل جاهل يريد ان ينكر القيمة العاطفية لكل تلك البلدان ، ويكفي أن نتفحص الكتب العبرية القديمة كي ننكر جماهير الغيتو ، بما هي عليه تلك المناطق ، لتكتسب في أعين الجموع اليهودية قيمة تضاهي قيمة الحقول المحيطة ببيت لحم او هضاب السامرة والجليل ..

ان الأجزاء الأكثر اهمية في حقل العمل الصهيوني هي : فلسطين

الانكليزية ، بما فيها الضفة الغربية لنهر الاردن ، وهي جزء من سوريا (لا يشتمل على منطقة دمشق ولا على الاماكن التي تحوي الموانىء الساحلية وأسواقها الداخلية) والجزء من منطقة ما بين النهرين ـ دجلة والفرات ـ الذي يتصل بفلسطين الانكليزية وبضفة الأردن مارا بجبل الشيخ وحوران والجولان والمجرى الأعلى لنهر الأردن ، وكل الأقليم المطل على البحر الأبيض المتوسط ، والممتد بين نهر القاسمية ورأس الناقورة في الجنوب ، ويكتمل هذا الأقليم بالمنطقة الممتدة من وادي العريش بما فيها شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومنطقته الخلفية ، وجزءاً من بلاد مدين) المشهورة بثرواتها المعدنيـة . وباستطاعة قرائنا أن يطلعوا على ذلك في الخريطة . ان خطوط الحدود لهذا الأقليم هي : إبتداء من راس التينة في جنوب غرب بور سعيد على محاذاة البحر الأبيض المتوسط ، صعوداً نحو الشمال إلى نهـر القاسمية ، وبعد إجتياز مدينة صور ، تتبع حدود الضفة الجنوبية لهذا الوادي ، إلى أن تصل المنعطف الذي يشكله باتجاه الشمال ، ومن هنا تترك ضفتي الوادي لتشمل مرتفعات الحرمون ، متجاوزة دمشق في الشمال وفي الخارج متجهة نحو الشمال الشرقـي مارة بمنطقـة المستنقعات الكبرى الموجودة في الجهة الشرقية ، ومن ثم تمر ببئر الزويدة وتدمر ، وتمتد بخط مستقيم نحو الشمال ، إلى أن تصل إلى بلدة مسكنة فتتبع الخط ٣٦ الموازي لخط الاستواء إلى أن تصل إلى حدود الميزوبوتاميا ، وبعد أن تتقاطع مع حدود تلك الدولة تتبع خط الحدود الذي يقطع بعد أن يمر بالابوكمال وصحراء الحارا يقطع إلى ٣٥ درجة لخط الطول الذي يمر بباريس ، وينحدر بخط مستقيم نحو الجنوب فيضم إليه جزءاً كبيراً من خط حديد المدينة المنورة إلى أن يصل إلى منطقة جبل الطبايق حيث يتجه نحو الجنوب الغربي ، ومن راس الفرتق يجتاز خليج العقبة . ومن ضفاف خليج السويس حتى جبل الراحة يصعد خط الحدود في الجهة الشرقية للقناة باستقامة ، مارا بمحطة القطية على خط حديد القاهرة ـ اللد ، حتى يصل إلى رأس التينة نقطة إنطلاقه .

ليس كافياً أن يكون الأقليم فسيحا ، بل ينبغي أن يكون مناخه

صحيا ، وارضه خصبة معطاء ، واستنادا للنتائج التي حصلنا عليها ، فان هذا الاقليم يسمح بتنمية متكاملة . ان فلسطين الواقعة تحت الانتداب الانكليزي بلاد معروفة جدا وليست بحاجة لأن نضيف لموضوعها معلومات أخرى ، إلا التي تتعلق ببعض الامكانيات الاقتصادية ، أما المقاطعة الأرمنية ، أو المنطقة الواقعة في شمال البلاد ، فهي غير معروفة جيداً بالنسبة للكثيرين ، ولهذا نرى من المفيد ذكر ما نعرفه عنها .

ان الجزء الهام من هذه المقاطعة هو اقليم الزور ، الذي يمتد من الدرجة ٣٥,١٥ إلى ٣٩,٢٥ درجة من خط الطول الذي يمر في الجهة الشرقية من باريس ، ومن الدرجة ٣٤ إلى ٣٧,١٠ من خط عرض الشمال ، وكذلك فان قضاء الرقة القديم الواقع على ضفتي الفرات والمعروف باسم « الجزيرة » (ان مساحة اقليم الزور تبلغ مئة الف كيلو متر مربع ، وعدد سكانه حوالي مائة الف نسمة[١] . اكثرهم يعيشون حياة حضرية أكثر مما هي بدوية ، موزعون على ١٥٨ قرية او مخيم) .

ان مناخ ما يسمونه تركيا الأسيوية عليل جداً ، لم يعرف أي مرض مستوطن ، سوى في بلدة البوكمال . ان هذه البلاد تشكل سهلا فسيحاً يرتفع على مسافات طويلة بتموجات خفيفة متدرجة ، وتغطي الجزء الواقع منه على ضفتي النهر بعض الزراعات والنباتات الكثيفة ، ان المظهر العام للبلاد يبقى متماثلا ، فعلى ضفتي النهر شريط رقيق من الأرض المزروعة بالقرب من القرى أو الخيام التي ينصبها العرب في موسم الحصاد ، وبعد هذا ، وعلى مد النظر تمتد الصحراء التي تقطعها من حين لآخر على الضفة اليمنى تموجات قوية تشكل في بعض الأحيان مقاطع كلسية كبيرة ترتفع عمودياً فوق الفرات أما الوادي فمكسو بكامله بنباتات خضراء مرتفعة تشكل باقات جميلة طبيعية ومجموعات من الشجيرات المختلفة تنبت بقوة تحت ظلال منسقة من أشجار

---

١) السكان الذين كانوا يقيمون منذ ثلاثين سنة .

الصفصاف والحور . أما بالنسبة للصحراء نفسها عندما تكون منداة بأمطار الربيع ، فتكون مغطاة تماما بالأزهار ، فتتراءى من بعيد بشكل مربعات مترامية الأطراف تتدرج فيها الألوان المختلفة الغنية . الذهبي ، الفضي ، الأرجواني ، تختلط بفوضى مع الأخضر والبنفسجي فيتوهج هذا المزيج تحت أشعة الشمس ويشكل حقولا كاملة من الأزاهير والخشخاش والترنجان الأزرق والمرغريت والسوسن وشقائق النعمان الرقيقة . وفي كل مساء يهب نسيم عليل منعش يحمل إلينا النفحات العطرة لهذا الأفق المزهر النضر ، بينما نحن نحلم بالأقدار العجيبة لهذه الأراضي البعيدة تحت سماء مرصعة بالنجوم التي كان يسألها المنجمون والعرافون ـ البابليون عن الطالع بلهفة كبيرة ـ فتهدهدنا نفحاتهم برقة ودعة ، ورويداً رويداً نغفو على الأنفاس المضمخة بالعطر)[١] .

نستطيع أن نضيف إلى هذا الوصف أوصافاً عديدة أخرى ، كي نبرهن على إجماع الأراء الذي يعم هذا الموضوع ، ولنختصر على سبيل التذكير قول السيد فيكتور بيرارد في كتابه (السلطان والاسلام والقدرات) صفحة ٢٩٢ .

« ان هذا السهل الذي يشبه في الشمال أرضنا المعتدلة ، ويشكل في الجنوب دلتا إستوائية ، إذا ما أحسن إستغلاله بحكمة ، اصبح في الشمال روضة ، فردوسا من الكروم وحقلا للحبوب ، اصبح صقلياً وأندلس ، وفي الجنوب مرزة ومقطنة وبستان نخيل ، اصبح البنغال ، ومصر المنخفضة » .

ما هي الامكانيات الاقتصادية في المناطق السورية الأخرى ؟ ان التقرير المؤقت لعصبة الأمم في عام ١٩٢٥ ، يفيد أن شغور الأراضي المروية وغير المروية الذي يجب أن نضعها في الحسبان كبيراً جداً : « وكما هو الحال في الأراضي المزروعة بالقطن ، فان الأراضي الصالحة

---

١) كتاب ليوتنان دي شوليت : ارمينيا كريستان موزوبوتاميا ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥ .

لزراعة الحبوب هي أوسع بكثير من المساحة المستعملة حاليا . ففي مجموع البلاد التي لا تقل قيمتها الزراعية عن قيمة أفريقيا الشمالية ، فان الأراضي المستغلة لا تزيد على السبعمائة الف هيكتار من أصل مليون وثلاثمائة وسبعين ألف هيكتار من الأراضي الجيدة جداً » . ان سكان سوريا قليلون ، وغير كافين لاستخدام المساحات القابلة للزراعة . وقد أعطى السيد هوفلان ، الأرقام التالية :

يبلغ مجمل مساحة سوريا سبعة عشر مليون هيكتار ، يزرع منها حاليا مليون وستمائة الف هيكتار ، اي نسبة ٩٪ (تعود تلك الأرقام لعام ١٩٣٠) . الأراضي الصالحة للزراعة ، أربعة ملايين وستمائة الف هيكتار ، أي نسبة ٢٨٪ » نرى أن اتساع الزراعة السورية يعود قبل كل شيء للتحسين النوعي والكمي لليد العاملة . واظن انه بالامكان إيجاد تحسين مقبل للنوع والكم . وانني لا اشك في إمكانية التحسين الكلي » .

ان ما يهم في السياسة هو التوقع ، والتوقعات ، لا يمكن أن ترتكز إلا على التجارب الثابتة ، ونحن من باب اولى ، سنفكر . سنأخذ فلسطين الانكليزية ، تلك البلاد الفقيرة إلى أبعد الحدود ، إذا ما قيست بالمقاطعة الأرمنية التي تكلمنا عنها ، وسنرى ماذا استطاع العمل والذكاء اليهوديان أن يفعلا .

ان هذا العمل قد تم بدون أي شرط من الشروط الأولية ، التي لا يمكن الاستغناء عنها ، والتي سنتكلم عنها خلال هذا البحث ، قد تم بدون الاجماع اليهودي ، وبدون التنظيم القياسي ، وبدون الدعم الغربي أو التفاهم مع العرب . لقد فعل الصهاينة أشياء جديرة بالاهتمام في تلك الفلسطين الانكليزية الصغيرة والعقيمة . وقد اعترفت أعلى السلطات البريطانية رسمياً بحسنات المستعمرات اليهودية ، واليكم بعض العبارات عن المحاضرة الامبريالية التي القاها السيد ل . س أميري ، سكرتير مكتب المستعمرات في عام ١٩٢٦ » ان فلسطين اليوم ، لم تعد بحاجة لمساعدة الخزينة البريطانية ، وتتمكن من البقاء بوسائلها الخاصة . فقد حدثت زيادات ملحوظة بثروات البلاد خلال الأعوام

الاخيرة وزاد إنتاج البرتقال والتبغ ، وتحسنت أحوال الزراعة ايضا ، كما ويبشر تطور الصناعة بمستقل افضل . وقد حازت هذه الاشياء على إعجاب كافة السائحين الذين زاروا البلاد » .

وفي العام الفائت (١٩٢٥) أصدرت الحكومة الفلسطينية قرضا بمبلغ اربعة ملايين وخمسمائة الف جنيه إسترليني ، اعادت بفضله مبلغ مليوني جنيه كانت قد إستلفته من بريطانيا العظمى ، كما تمكنت من دفع مبلغ مليوني جنيه ثمنا للخط الحديدي الذي انشأته السلطات العسكرية إبان الحرب ... وخلال المناقشات التي جرت بهذا الخصوص في مجلس العموم في ديسمبر عام ١٩٢٦ ، صرح الكولونيل ويد جود « هذا عمل فريد من نوعه في سجل الامبراطورية إذ تمكنت إحدى مستعمرات التاج ، أو إحدى البلدان الواقعة تحت الانتداب أن تدفع غداة حرب عالمية كبرى كافة المبالغ التي كانت قد إقترضتها من المكلف البريطاني » . وبعد التقصي عن هذا الحدث ، اعتبر عضو البرلمان الذي أوردنا كلامه أعلاه : « ان هذا يعود قبل كل شيء إلى يهود العالم بأسره الذين أخذوا منذ ثمانية أعوام يغدقون رؤوس أموال هامة على فلسطين » . وقد أكمل نائب الأمين العام لمكتب المستعمرات السيد أورمسبي غور ، هذا القول عندما صرح : « ان اليهود ادخلوا إلى فلسطين الأساليب الزراعية العصرية ، والأدوات المتطورة ، وأخذوا يطبقون أحدث المكتشفات العلمية في زراعة الأرض . كما ان الفلاح العربي التقليدي والأكثر بدائية ، أخذ يتبع الأساليب اليهودية في الزراعة ، وتعلم بسرعة كيفية تطبيق الأساليب والطرق العصرية » .

تلك هي نتائج التجربة الانكليزية ــ الصهيونية في فلسطين ، التي أثبتت نجاعتها في التعليم .

ان الثروات الزراعية في الشمال اعطت إمكانيات عمل مباشرة للمستعمرات اليهودية التي استطاعت أن تخفف بلا شك من البؤس الجسيم الذي عاناه اليهود في غيتو أوروبا الشرقية الذي وصفه البيرت لوندر ببلاغة في كتابه « وصول اليهودي التائه » . غير ان اليهودية المتحجرة والقاسية ذاتها تستطيع أن تقدم إمكانيات كبيرة إذا

استعملت وسائل التنمية والتنظيمات العلمية بشكل مناسب . وأن المراقبة المباشرة للأشياء ، والارشاد السليم العادي تظهر لنا منابع ثروات ليست بحاجة إلا للاستثمار ، وهذا الاستثمار لا يسلب شيئاً من أحد بتقديمه الرفاه لكل الناس .

لا نريد أن نعدد هنا الثروات الطبيعية لتلك البلاد ، إذ نجد في مؤلفي العالمين بلانكيرتورن ولارتيت ، وصفاً مفصلاً لثرواتها المعدنية : كالرخام والقار ، ومناجم الملح[1] وحجار الطباعة الخ ... كما ان علماء آخرين درسوا إمكانيات أخرى كزراعة الخروع بكل ما يتفرع من صناعة الزيوت والحبال والحرير الخ ... وعلى سبيل التذكير ، تعدد كروم العنب وبيارات البرتقال ذات الشهرة العالمية . واننا نكتفي بالقول ، إنه عندما نتخلى عن المستعمرات الفردية ، ونعني بشكل جذري باقامة خطة جماعية ترتكز على التعاون ، كالتي حدثت في الجزائر ، عندئذ تصبح البلاد هدفاً لتدفق الهجرات اليها ، هذا بالاضافة لما تتمتع به تلك المناطق من ميزات اقتصادية فريدة تتعلق بمنتجاتها أو على الأقل ببعض أصناف تلك المنتجات لأن مكان منشأها ومصدرها يساعدان في تسهيل تصديرها ويفتحان لها أسواقاً هامة ومتعددة .

لا يوجد بين شمال وجنوب هذا الأقليم الكبير للأعمار الصهيوني ، وبين النهضة العبرية ـ العربية عدم إستمرار ، فالطريق ملأى بالمعالم الأثرية الرومانية الرائعة ، حتى وإن هنالك معالم تعود إلى ما قبل الرومان . وسنذكر هنا بقول أيليزية ريلكوس : « في الجهة الغربية من حوران تتالى قلاع مهجورة ومجموعات من الصروح الرائعة ذوات الأبواب المنحوتة في الصخر ، وان بعضها لا يزال يحتفظ بسقوفه ، حتى يخال لنا وكأن سكانها لم يكانوا يبرحونها فبلدة الموسمية ،

١) أن جبل السدوم الذي يبلغ طوله ستة أمتار وعرضه متر واحد وارتفاعه مائة متر يتميز بطبقة متوسط سماكتها خمسين متراً . تحتوي على مئة وعشرين مليون متر مكعب من الملح الذي يمكن استثماره في الهواء الطلق ، والذي لا يبعد سوى خمسة وستين كيلو متراً عن سكة الحديد .

شقا ، شهبا ، ليست سوى اطلال ، السويداء ، القنوات ، بلدتان متواضعتان تحيط بهما الانقاض الرائعة ، الكرمة لم تعد تغرس ، غير ان التلال والمنحدرات المجاورة لا تزال مزنرة بالشرفات حيث شجيرات الكرمة تتسلق وتلتف حول اغصان الأشجار المثمرة » .

اننا نلمس أهمية الاقليم الذي يجب ان يخصص للمستعمرات الصهيونية ومدى الامكانيات اللامحدودة التي يحتوي عليها . ان المعارضة التي قامت ضد الصهيونية منذ امد بعيد ، والمستمدة من ضيق البلاد ، أو مما يقال عنه عقم التربة ، أن تلك المعارضة قد تلاشت ، ولا نستطيع أن نسلم بأن المكان صغير جدا لاستيعاب كتل بشرية كثيفة جداً عندما نرى كثافة السكان المبعثرين على هذه الخمسمئة الف كيلو متر مربع ، لنفترض ، أن لمسة عصا سحرية جعلت السبعة عشر مليون يهودي يرغبون بالعودة إلى هذه الأرجاء ، فالبلاد من السعة بحيث تستطيع استقبالهم ، وإمكانياتها ضخمة جدا تستطيع كافة أنواع النشاطات البشرية أن تمارس وفي كل الحقول والمجالات ، غير أن هنالك عقبة أخرى عكسية تماما لما كنا نخشاه لحد الآن ، تعترض سبيل هذا الانجاز الجماعي الهائل .

فمن أين نجد السواعد اللازمة لتنمية بلاد تعادل فرنسا بمساحتها ، من أين نجد السواعد التي تستصلح التربة ، وتشق طرق المواصلات ، وتقيم السدود المائية ، وتحفر الأقنية ؟ غير أن تلك العقبة تلغي العقبة الأخرى ، التي كانت مستعصية الحل ، وذلك بالتعبئة المتواصلة والملحة للأيدي العاملة : ان التناقس بين اليد العاملة العربية واليهودية ، والمساحات اللامتناهية التي لا تزال تنتظر العمل البشري المثمر ، يكون من أجل الجميع ، ويمنح الجميع عربا ويهوداً الأراضي الكافية لمزاولة نشاطاتهم . ، وهكذا ، نجد الحل الكامل للسؤال الكبير المتعلق بمجال المستعمرات الصهيونية ، ان أراض شاسعة خصبة صحية ، لا مالكين لها ، وشبه خالية من السكان ، أراض هي مهد السلالة اليهودية تنتظر منذ الآن المهاجرين الصهاينة .

ان كون الصهيونية نتيجة لجهود اليهود في كل بلاد العالم ، وهي في

نفس الوقت المصدرة لها ، يعطيها خطوة وقوة تجعل العقبات المحلية المتأتية من الروتين ، ومن سوء النية ، أو من بعض العادات الفردية ، **تختفي بمجرد العمل على إيجاد قوة إقتصادية ومالية لا تقاوم . كما ان البيئة الملائمة تسهل بخلق إقتصاد مستقل ذاتيا ، تعمل الصهيونية على إنعاشه في هذا الشرق** ، غير أن تلك الأراضي تتطلب من الناحية النفسية تقريبا جهازا مركزا بدقة ، كي يمكن الاقتصاد الذي سينشأ من بلوغ نموه الكامل ، وكما أن الحرب لا تكسب إلا بفضل قيادة فذة تنسق كافة الجهود ، **كذلك فان مهمة إنعاش الشرق ، كي يصل بسرعة إلى نهاية حسنة ، تحتاج إلى إدارة فذة** . وقد ألمح السيد فابير ــ لوس ، **إلى ان من اكبر العيوب في البشرية ، التصنيف العالمي لليد العاملة ولــرؤوس الامــوال وللثروات الطبيعية . ففي منطقة غنية كهذه** ، تنقصها القوى البشرية بينما يختنق البشر في مناطق سواها فوق ارض قاحلة ، **يجب توخي الحكمة في توزيع الكتل البشرية التي ستعود إلى الشرق** ، وينبغي **أن لا تحدث أخطاء الصدفة ، التي اصبحت عادة متبعة في اوروبا ، ومن أجل تفادي المضاربة والتزاحم العقيم للقوى ، ولكي نهيء إستثمارا واسعا في البداية** ، ومن ثم مكثفا ، **لا بد من جهاز فذ ومن شخص إعتباري فذ .**

ان شركة ذات إمتياز ، يمكن أن تكون هذا الشخص الاعتباري ، وهي الوحيدة التي توفر قاعدة قانونية وإقتصادية سليمة ، تسمح بتعهد عمل طويل ، مع التقديرات اللازمة لتنفيذ المشاريع مقسطة لعشرات السنين ، ان الحق الخاص ، وكذلك الحق العام يتطلبان ، أن تجري العقود بين أشخاص (اكفاء) .

من الضروري أن يكون مقابل أية هيئة سياسية ، أو سلطة عالمية ، شخصية إعتبارية جديرة بالادارة ، جديرة بالهيمنة ، وبالتصرف ، وأن تكون مسؤولة مسؤولية مباشرة ومالية عن أعمالها . إن على هذه الشركة ذات الامتياز ، حيث يمثل العرب واليهود في نسبة تحدد فيما بعد وفقا لاسهام الطرفين ، ان عليها أن تتمتع ببعض الحقوق الملكية ،

التي لا تتجاوز الاستقلال الذاتي البسيط للمجالس البلدية حتى والاقليمية ، ولا تصل إلى حد الاستقلال . وهذا يعد أمرا حسنا في الحالة العادية للأشياء .

إنما ينبغي من أجل الحفاظ على المستقبل وتهيئته ، أن تكون الادارة السياسية لسلطات الانتداب منذ الآن متوازنة مع الادارة الاقتصادية للشركة ، ينبغي أن تتمكن جذريا وبحرية من توجيه تدفق الاعتمادات والمهاجرين نحو تلك المنطقة ، أو أية منطقة أخرى ، مستلهمة بذلك مجموعة إعتبارات معقدة بالضرورة ، ومن البديهي أن تلعب إعتبارات سياسية دوراً ما ، في تفضيل إختيار محور ينظم حركة رؤوس أموال ، وتدفق بشري اكثر من محور آخر ، وعلى الشركة أن تحد من السيادتين ، الفرنسية في الشمال ، والانكليزية في الجنوب ، غير أن إنزواءها في مجالها الاقتصادي يجعل الممارسة الكاملة لحريتها ، لا تؤدي إلا للتقارب بين الأنظمة وتوحيدها ، والتوفيق بين الأحوال الداخلية ، في سبيل تنمية أشمل وأفضل للبلاد ، وفي أخر المطاف ، يولد نوع من التوازن ، يعزز الوحدة الاقتصادية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، الأمر الذي يجعل هذه الوحدة موازنة للسلطة السياسية ومعادلة لها ، حتى إذا ما سارت بشكل طبيعي ، تمكنت من تجنب الانتفاضات الداخلية ، أي بما معناه ، عملت على تجنب أسباب الحرب في المدى البعيد .

أما إذا كان للاعتبارات السياسية ، دور تلعبه في سير أعمال الشركة ذات الامتياز ، فان هذه الاعتبارات تأتي في النسق الثاني بعد الاعتبارات الاقتصادية ، التي تتعلق بأمور التعهدات وطبيعتها وقيمتها وامكاناتها ، تلك هي المسائل التي تطرح نفسها بقوة لا تقهر على عقل كل إنسان حكيم متبصر ، ومن الضروري جدا أن يتهيأ لهذه الخطة الواسعة كالدنيا ، وسائل غير محدودة تقريبا ، فهنالك تنظيم ينبغي التأهب له ، وأجهزة يجب إنشاؤها ، وقوانين يجب دراستها ، وليس من شأننا أن نتدخل في أعمال هي من شأن الخبراء وذوي الاختصاصات ، ويكفي أن نلخص ببساطة الخطوط العريضة لتنظيم منطقي ، وأن نضع مبادىء عملها ، ونعين كوادر نشاطاتها .

اننا نتبين منذ الآن قطاعين متميزين في شركة ذات إمتياز ، سيكونان الوسيلة لتنفيذ العمل : **القطاع المالي ، والقطاع الاقتصادي ، الاول معد لجمع الأسس الضرورية** ، والثاني لاستثمارها ، ويوجد بين الاثنين آلية تشابك . فيكون تحديد حجم تعهدات القطاع الاقتصادي بنسبة المبالغ التي تجمعها جهود القطاع المالي ، وبقدر ما تحرز هذه التعهدات من النجاحات ، بقدر ما تصبح المؤسسات المالية في القطاع المالي ذات اهمية . ويبدو لنا شكل نشاط هذين القطاعين من خلال خطوطه العريضة بسيطاً للغاية . **فاذا كانت الأعمال الجامدة لشركة الامتياز موجودة في أوروبا ، فان اعمالها الجارية تكون موجودة في الشرق** ، وهذا ما يمنحها الاستقلال في العمل ، حتى أن تنفيذ الخطط الطويلة الأمد المعدة بشكل مبدئي لا يحتاج سوى للضمانات والاستقرار وللتاكيدات الأمنية .

ان أول عمل يجب القيام به من أجل الالتزام المنهجي والعلمي بعمل كهذا ، **هو المباشرة باحصاء عالمي واسع لليهود ، إحصاء عرقي وإقتصادي بنفس الوقت ، والعمل الثاني ، هو التنقيب عن الأعمال الممكنة في الشرق ، أو التي قد تصبح ممكنة** . ولهذا فمن الضروري تشكيل جهاز إقتصادي يكون في البداية تحت شكل بعثة بسيطة مؤلفة من التقنيين المتمرسين ، تقيم في المكان لمدة طويلة ، تتمكن من خلالها من دراسة الحالة ، ومن ثم ترفع تقريراً عاماً من الأعمال التي تبدو لها ، قابلة للالتزام ، ولا يكون من مهمتها أن تعني بالموارد الضرورية لتمويل هذه الأعمال ، وإنما بامكانية نجاحها . وبعد تقديم هذا التقرير العام ، يصار إلى إرسال المتخصصين لكل فرع من فروع العمل ، مع المعطيات التوجيهية بأن الموارد غير محدودة واليد العاملة فائضة . **ان الاستيطان الصهيوني ، يختلف بالأساس عن اشكال الاستعمار الاخرى ، لأن هدفه لا يرمي إلى إستنزاف الثروات الطبيعية للبلاد المستعمرة ، فالصهيونية تنشد الاستيطان السريع والواسع ، وان إمكانيات الاعمال غير محددة مبدئيا ، ولا تقوم إلا على كثافة وثراء السكان ، فبقدر ما يكون هذان** العاملان كبيرين ، بقدر ما تكون إمكانيات الأعمال ضخمة ، والعكس

بالعكس ، فبقدر ما يكونـــان ضئيلـــين ، بقـــدر ما تتقلص هذه الامكانيات . وينحصر دور الخبراء ، في إقامة تصميم مفصل من أجل خلق وتوسيع كل عمل من الأعمال وارد في التقرير العام ، إلى الوقت الذي تصبح فيه الأعمال مربحة . وينبغي على هذه الشركات المتنوعة التي أول ما تعني بالدراسات ، ثم تصبح إستثمارية ، ان تكون على وجه التحديد تجارية بشكل دقيق ، وأن لا تخضع إلا للمساهمين فيها .

من أجل ممارسة سياسة إقتصادية كتلك ، يجب إتباع اسس هامة ضرورية . فعندما نعمل على قاعدة عريضة ، وعندما نشترع عددا كبيرا من القوانين ، نستطيع التوصل إلى قيم تقريبية تتعلق بالوسائل المالية التي نتمكن من رصدها . **فمنذ عام ١٩٢٠ واليهود يوظفون كل عام ما يقارب المليون جنيه إسترليني في فلسطين ، من دون اي ربح ،** اي أن المانحين بصورة عامة يعلمون انهم لن يتلقوا اية عائدات عن هذه المبالغ ، وإذا راودهم الأمل بأن المبالغ التي يكرسونها لأهداف صهيونية مثمرة ، غير معرضة لأية حسومات فان مجموع التوظيفات سيتضاعف ، ويصبح مليوني جنيه إسترليني ، ومن جهة اخرى **فانه يوجد من أصل السبعة عشر مليون يهودي في العالم ، ستمئة الف يهودي ممن يساهمون بالعمل الصهيوني**[١] ، اي ما يقارب الـ ٤٪ ، وهذا بالتأكيد اقل من الواقع إذا إعتبرنا ان نسبة ٥٠٪ من اليهود يحتفظون بصلة عاطفية ، وانهم سيتحولون إلى مساهمين ماليين ، إذا رأوا ان واجبهم لا يتعارض مع مصالحهم ، الأمر الذي يجعل عدد المساهمون ، إذا أسقطنا منه عدد الأطفال والنساء ، يبلغ الأربعة ملايين ، مما يعطي مبلغا للتوظيف في إقليم الاستيطان الصهيوني ، يصل إلى اثني عشر مليون جنيه إسترليني بشكل عام .

وفي الواقع ، يصل المجموع العام ، إلى رقم أعلى من هذا الرقم ، إذ يوجد مستوطنات يهودية في انحاء متعددة من العالم تساهم برؤوس

١) ان عدد المساهمين الصهاينة يتراوح بين المليونين على ابعد تقدير وبين المئتي الف كحد ادنى .

أموال طائلة في كل عام : كمستوطنات الشرق الأقصى ، وروسيا ، وكندا ، وأميركا الجنوبية إلخ ....

وإذا تم حشد كل شيء في إقليم واحد يستطيع إستيعاب كل الذين تتطلبهم الهجرة ، عندئذ تتحرر مبالغ طائلة جداً وتنصب في ميزانية الشركة ذات الامتياز .

هذا ، ومن ناحية أخرى ، **فان السمة الجوهرية لحل المسألة اليهودية التي تقتضي إقامة المشاريع لانشاء الجمعيات الخيرية ، التي تقدم العون لتخفيف وطأة البؤس عن يهود اوروبا الشرقية - ان هذا البؤس ، هو احد جوانب المسألة اليهودية - فتتعاون هذه الجمعيات مع الشركة ذات الامتياز ، وتقدم للمهاجرين الفقراء بوسائلها الخاصة المعونات مقابل العمل** . وباختصار ، فانه إذا كان من غير الممكن أن نقدر بدقة المبالغ التي يمكن للشركة ذات الامتياز ، أن ترصدها في الشرق ، فاننا لا نكون مبالغين إذا أكدنا أن رصيد هذه المبالغ سيكون بحدود ميزانية بعض الدول .

إن المسألة المالية تطرح نفسها إذن على هذا الشكل : ينبغي على الشركة أن تلجأ إلى القروض الكبيرة القومية والعالمية ، التي تكتتب فيها الجماهير اليهودية في مختلف البلدان التي إختاروها موطناً لهم ، نقول قروضاً قومية ، لأن اليهود بصورة خاصة ، هم الذين سيقدمون هذه القروض ، أما القروض العالمية ، فانها تلك التي تشكل بحكم الضرورة أقساط كل قرض صادر ومودع في أي بلد كان . ان القرض المدروس جيداً ، والمعد بعناية ، والصادر في وقت ملائم ، هو قرض ناجح : فالراسماليون ، والاقتصاديون لا يترددون في الاكتتاب بتعهدات مدروسة بشكل جدي ، شريطة أن توجد أعمال للتعهد ، وقد رأينا أن البلاد تحتوي على قدر كاف من التعهدات ، وأن دعوة للمصارف اليهودية تحتوي على معللات منطقية ، كفيلة بأن تعطي كل الوسائل اللازمة لتدفق رؤوس الأموال ، التي تتوقع سياسة القروض إحداثها ، غير أن قوة الهجرة ، مهما بلغت ، فان اليد العاملة ستبقى اقل مما تدعو الحاجة إليه .

إننا نتوقف عند هذا الحد ، إذ يكفي ان نطرح مبدا ونشير إلى تطبيقه : فالمبدأ والتطبيق كلاهما خصب ويعطي النتائج المرجوة ، إذا ما جرى توسيعهما بحرية . وإذا كان الهدف الصهيوني بالنسبة للكثيرين ، شيئا مثاليا هاما ، فان وسائل التنفيذ ينبغي أن تكون منطقية قطعاً ، وان هذا ما أسميناه في احد الأيام : **الصهيونية الاقتصادية .**

لا نستطيع أن نعزل الصهيونية عن سائر المسائل اليهودية الكبيرة الأخرى : فكلها يتعلق بعضها بالبعض الآخر ، والحماس المذهل الذي يلهب يهود العالم بأسره ، لا يمكن أن يذهب فقط إلى حد إنتقال مجموعات من البشر آلاف الكيلو مترات ، كانوا قد تحولوا بالأمس إلى طبقة البروليتاريا ، ليتحولوا مرة ثانية إلى تلك الطبقة غداً وإلى الأبد ، **كما انه ليس من المعقول ان لا يذهب التصور الاقتصادي للصهيونية إلى حد ابعد من إستمالة البروليتاريا من المهاجرين والسكان المحليين ، فاذا كان هذا هو هدف الصهيونية بالواقع ، فان السواد الأعظم من اليهود سيرفضها مع ما تعددت المكاسب التي تقدمها ، وتصبح غير جديرة سواء بالماضي اليهودي أو بمستقبل إسرائيل .**

ان صهيونية تريد ان تحدد انشطتها في المجالين الاقتصادي والمالي فقط ، توشك ان تصبح متنافرة بالفعل مع الراي العام اليهودي ، الذي تطمح إلى تمثيله . فانها بتحويلها الحماس الروحي للجماهير ، إلى مسألة مساهمة بسيطة ، إلى حصة في الأسهم ، إلى فائض للقيمة إلخ ... فانها بذلك تستنزف ينابيع الوحي الشعبي ، وتحطم حماسه ، وتحول قوته المعنوية التي تحرك الجماهير إلى لا شيء . ان الصهيونية التي تصبو إلى تحقيق حلم العرق اليهودي منذ الف سنة ، لا تستطيع ان تفعل إذن عمل مثالي ومسيحي بنفس الوقت ، سوى تعهدات بسيطة تتأرجح في ميزان ، الما عليه وما له .

لقد كانت الفكرة الصهيونية عميقة لدرجة أنها لم تفصل المسالة السياسية عن المسالة الاجتماعية ، فتبنت منذ البداية

الأسس الاشتراكية . **ومن الجائز ان تكون بعض الأسباب الانتهازية ، قد إمتزجت معها أيضاً** ، وذلك لاعتبارات توراتية كانوا يتذرعون بها . ونلاحظ من تجربة الوقائع ، **كم كانت الاشتراكية عند الاقتضاء قابلة للتبرير في اوروبا ، حيث كانت تتناغم وتتوازن مع الراسمالية ، وكم كانت مبستَرة وسابقة لاوانها في الشرق ، إنما** ينبغي ان لا ينجم نظام معاكس على اثر ردة الفعل العفوية ضد نظام معروف بعدم ملائمته : الراسمالية بكافة عيوبها . يجب أن يصار إلى تفحص علاقات الراسمالية والاشتراكية البالية بعض الشيء ، تحت ضوء فكرة أرقى منها ، عندما تدخل إلى بلدان جديدة . فعوضاً عن أن ترتكز نهضة الشرق على راسمالية القرن التاسع عشر ، أو على الماركسية التي دل القرن العشرين على بطلانها ، عوضاً عن ذلك ، يمكن ان **تستوحي من النموذج الاميركي .**

ففي تلك البلدان الجديدة ، يتحقق تعاون الطبقات بشكل أفضل من اي مكان آخر : كما أن التشدق بالكلام الرنان الفارغ ، أو بالأحرى أيديولوجية التجمعات العامة ، يكون مخرباً ومفسداً أكثر من اي مكان آخر . **ان البورجوازية اليهودية ـ الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ـ هي التي تصنع المساهمات المالية ، وأن الجماهير اليهودية البائسة في أوروبا الشرقية ، والحشود الأمية العربية الجاهلة ، هي التي تصنع المساهمات في العمل ، ولا يمكن الاستغناء عن الاثنين معاً ، من اجل إنجاز العمل ، غير انه لا يمكن ان نطلب من اية منهما التضحيات المجانية .**

إذا وضعنا مبدأ الملكية الخاصة جانباً ، فالأخلاق والعدالة والمنطق ، كلها تأمر باحترام المصالح الشرعية العائدة لكافة الفرقاء . **ان الشركة ذات الامتياز هي نوع من الاتحاد الاحتكاري الذي يحد من المنافسة بين هذين العاملين** : الراسمال ، والعمل ، وعلى هذه الشركة ان تخلق شركاتها المتعددة ، من اجل تنمية البلاد بأسناد تأثيرات راسمالية ـ للمساهمات الراسمالية ، وتأثيرات عمل للمساهمات في العمل ، وهكذا يتيقن كافة المشتركين من شرعية وعدالة

الحصة التي تعود إليهم : يتأكد البعض من سلامة اموالهم ، ومن إمكانيات فائض القيمة ، ومن إحتمال ربح الأسهم ، ويتأمن للبعض الآخر العيش بصورة مباشرة وبمستوى معيشي كاف ، كما يثقون بأن التضحية بأجمل سني حياتهم في العمل ، ستعود على بلادهم بالازدهار والرفاه .

ان المسالة اليهودية ، هي مسالة ععلمية كبرى ، لا غنى عن تآزر الجميع من اجل حلها . ولا يمكن للمراحل المختلفة والمتتالية لتحقيق الصهيونية أن تتجلى ، إلا ضمن تنسيق معين ، ووفق تناغم معين ، **فهي تتطلب إدارة مركزية تنسق كل الجهود وتوافق بينها . فالعقيدة التي حاولنا صياغتها ، لا تزال غير مفهومة لدى الكثيرين من ذوي العقول الراجحة** ، وينبغي أن يصار إلى تبنيها بشكل صريح وقاطع ، **إلى أن تسقط المعارضة الايديولوجية عند « الاندماجيين » والتقليديين ، ويجمع كافة اليهود على ضرورة الصهيونية ، وأن مجلساً قومياً يهودياً موسعاً ، هو الوحيد المؤهل لاقرار ذلك .**

كان ينبغي على الاحزاب والتنظيمات التي نشأت في السابق ، والتي تتبنى تركيباً ملائماً ، ان تهيء الوسائل اللازمة كعمل مبدئي لكل سلوك لاحق .

ان موافقة فرنسا على الصهيونية امر لا بد منه ، ولكن للمباشرة بهذا العمل ، ليس من الضروري أن تنتظر « الترخيص » غير المجدي من أحد موظفي المستعمرات الانكليزية ، او من المكتب المختص بالاجانب ، فعندما تصاغ العقيدة بوضوح ، ويصار إلى تبنيها بصراحة ، وتكون في مستوى الفهم لدى رجال الدولة البريطانية ، عند ذلك يصبح من الممكن إجراء محادثات مباشرة مع فرنسا ، إذ يوجد في هذه البلاد الكثير من الرجال البارزين ، **ممن فهموا القوى الخفية التي تكمن في الصهيونية** ، وانهم على استعداد لمساندة الجهود التي تبذل من أجل تنسيق هذه الأفكار .

ان لدى كبار رجال الدولة الانكليزية نظرة أشمل من نظرة الموظفين

التابعين للوزارات ، وان هؤلاء الكبار يفهمون ان الصهيونية إحتكار إنكليزي ، فاذا ماتت لا يكون من السياسة بشيء تجاهل هذا الشكل العريض والعميق والخصب من هذه الصهيونية التي كانوا اول من أدرك اهميتها . وعندما يتبدد الغموض الذي لا يزال يغلف الصهيونية ، سيلقى الانضمام العربي إلى مثل هذا الاتفاق تسهيلات خاصة . ولهذا يجب أن نصر على ان العقيدة المطروحة بوضوح ، والمقنعة بدون أفكار مبطنة ، هي التي تقدم العون الأفضل . وعلى هذا الأساس ، يجب منح الثقة للنوايا العربية الحسنة وتقديم المساعدة عند الضرورة للأخيار منهم ، وإستبعاد المتآمرين ومن يثيرون الشغب .

والخلاصة ، ينبغي على اليهود أن يتقدموا ويقولوا بأنفسهم ماذا يريدون تماما ، ليتمكنوا من ضم السواد الأعظم من الناس ذوي النوايا الحسنة والارادة الصادقة .

لقد استعرضنا المسألة اليهودية ، وتصورناها في مجموعها وفي عناصرها ، فهي كاملة نحويا ومنطقيا . وقادنا هذا الشكل من السير الفلسفي بصورة حتمية إلى التصور السياسي للقومية السامية . انه تصور ملزم وفكرة متسلطة ، لأن قوته تكمن في منطق الكائنات والأفعال ، وحتى في طبيعة الأحداث والظواهر .

ان المنظرين ، ورجال الدولة ، والدبلوماسيين ، أو الرجال النشطين ، لا يسعهم إلا أن يستعرضوا مسألة ما ، وهذه المسألة لها وجودها وقوتها الذاتية ، وعندما تدق الساعة في برج التاريخ ، تتحرر القوة وتبدأ الأشياء بالزحف نحو تحقيق الأفعال الكامنة فيها . ان الصخور والأحجار تنتظر قرونا طويلة إلى أن يقوم الزمن وقوى الطبيعة المتعددة بعملها ، ومن ثم تتزلزل وتشكل إنجرافا لا يقاوم ، يكتسح كل ما يعترض سبيله ، ويخلق بعد توازن غير مستقر دام طويلا ، بخلق حركة ثم ينتهي إلى توازن جديد .

يستطيع العلماء حساب حركة الماء والهواء ، الحرارة والصقيع ،

حركة إنجرافات خارجية وإنهيارات داخلية ، غير ان التوقيت الدقيق ، حيث يتم الحدث يغيب عن فطنتهم .

لقد دقت ساعة التغيير اليهودي الكبير في مصائر التاريخ ، واكتملت الأحداث ، ويكفي أن نفتح الأعين كي نراها ونفهم مدلولها ، إذ ماذا يهم الخور عند البعض وضيق النظر عند الآخرين ؟ هل كان الثائر الفرنسي في عام ١٧٩٣ في فالمي يحسب ان وجه العالم كان يتغير تحت ضرباته وعلى مرأى منه ؟ وهل كان جندي المشاة في معركة المارن ، يعلم أن خارطة العالم كانت تتثبت لسنوات طويلة مقبلة في تلك الأيام المقدرة ؟ ليس من الضروري أن تدرك قطرات الماء التي لا تحصى ، والتي تشكل تلاطم أمواج البحر ، ماذا يجري ، وأن تعلم إلى اين تذهب . ان المنطق الكوني للتاريخ ، هو في حتمية ترابط أفعال وأشياء لا تستطيع الكائنات إلا أن تعانيها . ان رجال الدولة الكبار ، هم هؤلاء الذين بعد أن يفهموا ، أو يخمنوا ، يقدمون بتبصر ودراية على فعل ما قام به الآخرون بلا تبصر وبغباوة .

لا يمكن أن يخرج من التقاء وإحتكاك حلم مسيحي دام الف عام ، وحقيقة إقليمية ثابتة ، لا يمكن أن تخرج روح بلا جسد ولا جسد بدون روح . **ان المطلق السامي كما هو عند الكاتب والفيلسوف النروجي ايسن ، يتطلب كل شيء ، أو لا شيء ، فاما ان يخلق دولة كبيرة وقوية ، واما ان يموت عاقراً** . ليس في هذا البرهان ذي الحدين من بدايته إلى نهايته شبهة أو حد وسط . انه طريق طويل مليء بالأشواك ، والصراعــات ، والتمزقــات ، والتكيفــات ، وفــوق كل شيء مليء بالحماسة . **فهل لدى إسرائيل القوة الكافية للسير في هذا الطريق والتغلب على العقبات ، والانتصار على اعدائها** ؟ هذا الأمر الهام القائم بحد ذاته ؟

ان المستقبل يغفو على ركبتي الاله ، وأن يعقوب الذي ناضل مع الرب الحقيقي ، وخرج من المعركة منتصراً ، قمين بأن يوقظ هذا المستقبل ، **ليرغمه على تحقيق الأمل الاسرائيلي الموغل في القدم** .



الجزء الثاني

الاستقصاء

آراء السادة ، بيير كوت ، سلومون ريناخ ، جان مانيه ، جورج كلاريتي ، مارسيل ميرتيل ، ريني دي بلانهول ، الدكتور جورج سامني ، موريس موري ، الأمير شكيب أرسلان ، البير وحل ، اوجين فور ، سليفان ليفي ، راوول آليه ، مورو ــ جيافيري .

ان الاستقصاء الذي سنقرأ عناصره في الصفحات التالية ، قد حولنا عن المواضيع التي يحتويها هذا الكتاب .

فالحركة الصهيونية الوعرة بالنسبة للعقليات الغربية ، كانت بحاجة للتشجيع في بدايتها : ولهذا ، فان الذين كانوا يبنون احكاما حول موضوعها ، لم يكونوا يستوضحون سوى شخصيات معروفة بتعاطفها حيال عودة الشعب اليهودي إلى وطنه ، وكان حري بمؤسسي الصهيونية الأوائل ، أن يؤكدوا ، **على انها حركة ذات طبيعة قومية ، ونظام عالمي** ، وكان التأكيد على ذلك كافيا . بينما كان التكلم عن جوهر هذه الحركة ، وعن سمتها العميقة ، وعن انعكاساتها البعيدة ، كان بالطبع سابقاً لأوانه .

لقد فكرنا أن أحداث الأزمنة الأخيرة ، كانت تسمح ، أو بالأحرى تتطلب نهجا عكسيا ، عندما طرحنا بمنتهى الأمانة الفكرية التي كنا نشعر بأننا جديرون بها ، طرحنا الجوهر الصهيوني بعد أن وضحناه

كمذهب ، ووضعناه تحت تجربة النقد الحر ، وقد امتنعنا عن إستخراج آراء الأصدقاء الحقيقيين للصهيونية ، كي يأتي هذا النقد مستقلا تماما ، ولم نشرك في تقصينا الشخصيات الشهيرة التي إنضمت إلينا وازرتنا مؤازرة معينة ، بل على العكس ، تعمدنا التوجه إلى شخصيات معارضة ، أو غير متحيزة ، وفي اكثر من مرة ، كان بعض الأشخاص الذين نوجه إليهم أسئلتنا ، يتهربون ، مظهرين معارضتهم للصهيونية ، غير اننا كنا نلح في الطلب من هؤلاء ، ان يغضوا النظر عن كل اعتبار شخصي ، كي تأتي أجوبتهم مستقلة تماما .

سنقرأ الردود على هذا الاستقصاء الذي نظن بأننا لجأنا به إلى كافة الأشخاص الذين كانوا مؤهلين لتكوين رأي عن هذا الموضوع : ويتألفون من ذوي التفكير الحر ، ومن الكاثوليكيين المجاهدين ، ومن البروتستنت الورعين ، والديمقراطيين ، والليبراليين ، والمعتدلين ، والاسرائيليين المندمجين ، الذين كانوا يرون بالغريزة ، ان فكرة اقامة دولة يهودية شيء مخيف ، ومن ممثلين رسميين للصهيونية . فأتت الردود متكاملة لتعبر عن تدرج كافة الألوان التي يتشكل منها قوس قزح السياسة والدين والفكر ، والذي لم نستخلص منه اللاسامية (الصرفة) .

وسيقدر المبدأ فيما إذا كانت العقيدة التي وضحناها ، عقيدة مخلخلة ومخالفة للمنطق ، أو أنها تعرضت فقط لانتقادات حرة وموضوعية .

رد السيد بيير كوت ، عميد كلية الحقوق ، وممثل فرنسا السابق في عصبة الأمم ، وعضو لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب :

صديقي العزيز

سؤالك عن رأيي في كتابك يشكل لي بعض الحرج . انني أقدر دراستك الوثائقية الفطنة ، وأود أن أثني عليك بدون تحفظ . غير أنني لا أستطيع ان اوافقك على إستنتاجاتك فأجد نفسي مضطرا ، اما

للصمت ، واما لمعارضتك ، ولما كنت تمنع عني هذا الصمت ، فباستطاعتي القول ، أنني متفق معك تماما على الطريقة التي طرحت بها المسألة .

إن المسألة الصهيونية ، لا يمكن أن تدع أي شعب متمدن غير مكترث بها ، فهنالك بالتأكيد نوع من التبكيت الخفي يحول دون عدم دفع الأوروبيين للاكتراث بمصير اليهود البائسين ، فزمننا ، بما فيه من بؤس وخراب وفساد ، يعتبر تركيبة مؤسفة لازدهارنا ، وأنه لمن غير المجدي أن نعني بآلام ومخازي الماضي ، بينما تستمر الحقيقة المشينة للغيتو ولخطر المذابح في غرب أوروبا . ان فرصة إعطاء يهود غربي اوروبا ملجأ ، أو ملاذا ، أو مقرا ، أو وطنا ــ وهذا لا يهم كثيراً ــ كي يتمكنوا من التمتع بحق الاعتراف بهم ، وبحقهم بالوجود من دون قيد ولا شرط . لقد وجدت الصهيونية مسوغها بفكرة نبيلة ، وينبغي علينا ان نشجعها .

إلا انك اشرت إلى **الاخفاق الحالي للتجربة الصهيونية** بالرغم من ان الحماس والوسائل لم يغيبا عن المستوطنات الأولى ، والنتائج الحاصلة ، تثبت على أنها جديرة بتعاطي الأعمال مهما تنوعت ، **فأين هو إذن سبب هذا الاخفاق** ؟ إنك تشير بوضوح إلى **ان الصهيونية هي مشروع إقتصادي ممكن** ، من ناحية المناخ الصحي ، والتربة الخصبة ، والأرض الغنية بالثروات ، ــ وبالاجمال فانها منطقة ترحب بالانسان ، وانها إذا ما خصص لها الأدوات الاقتصادية الكافية ، سمحت للاجئين اليهود بالعيش وا لازدهار ضمن افضل الشروط .

لقد توقفت عند فكرتك القائلة بالاستعانة **بشركة ذات إمتياز** ، تستقبل وتستجيب بسرعة للأسس الضرورية لتنمية الدولة الجديدة ، **واتمنى ان يكون النظام المقترح مشبعاً بالاشتراكية** ، لحد بعيد ، لأن الاشتراكية ، تبدو لي افضل من الراسمالية كمنهج إنتاجي علمي ومنطقي ، وكما تلاحظ ، فنحن نتفق ونتقارب حول هذه النقطة .

ولكن ، **هل التجربة الصهيونية قابلة للحياة من الوجهة السياسية** ؟ نحن الآن في صلب المسألة .

لندع جانباً الصعوبات المتأتية من اليهود انفسهم ، او القوى الأوروبية ، فالعقبة ـ وقد لاحظتها جيداً ـ تتأتى قبل كل شيء من العرب ، ليس فقط لأسباب ذات إهتمامات دينية ، ولأن إعتراض العرب على حائط المبكى يزعج اليهود . فالعرب يطمحون لأن يكون لهم في فلسطين حقوق تاريخية أفضل من الحقوق اليهودية . وفي موضوع كهذا ، يسعى واضع اليد الأخير ـ هذا إذا إستمر وضع اليد عدة قرون ـ إلى التغلب على واضع اليد الأول ، وعلاوة على ذلك فان العرب يتظلمون من انهم خدعوا بالوعود التي قطعت لهم لحثهم على الثورة ضد الاتراك . لقد وعدوهم بالاستقلال ، فماذا يرون ؟ ان تلك البلاد التي يعتبرونها بلادهم ، تقع بين ايدي الكفـرة واليهود . ان الانكليز والفرنسيين يريدون جعلها مستعمرة تحت ستار الانتداب ، وفرعاً من فروع الغيتو ! .

اين هو الحل ؟ لا أستطيع أن أسلم بما تشير إليه ، فانت تطالب بتشكيل دولة يهودية ـ عربية ، وانني اعتذر لعدم تمكني من تصديق إمكانية إمتزاج كهذا إطلاقاً ، فاليهود والعرب من اصل طائفي صريح لا يقبل الجدل ـ غير انهم اخوة أعداء ـ وانني اتصور بان ، لا هؤلاء ، ولا اولئك ، يستطيعون الافادة من هذا الزواج الذي تقترحه . ماذا إذن ؟ إذن ، يجب التفاوض مع العرب وإعطائهم التعويضات ، واظن ان فرنسا ، تستطيع اخذ زمام المبادرة في هذه المساومات ، ومن صالحنا جميعاً ان نساوم العرب .

ومهما يكن من أمر ، فان كتابك يسهم إلى حد بعيد ، في حل المسألة ، فأنا أعرفك ، كما أعرف أن هذا كل ما تطمح إليه .

وتقبل خالص مودتي
بيير كوت

رد السيد سالمون ريناخ ، احد اعضاء المؤسسة :

سيدي ..

يبدو لي ، ان الاستيطان الزراعي اليهودي مرغوب فيه جدا وفق القواعد العلمية التي توضع بتصرفه ، وأنه جدير بأن يتم على اجزاء سوريا الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، تلك الأجزاء التي تأمل أن تعود في يوم من الايام إلى ما كانت عليه من الخصب ، بعد قرون عديدة من الاهمال ، ويتطلب هذا مواصلة دراسات تكمل الدراسات التي اكب عليها الاختصاصيون في السلطة المستعمرة ، وبخاصة ، ما يتعلق منها بالاستيطان اليهودي .

أما ، أن نخلق من أجل هذا تنظيمات جديدة ، وبيروقراطية جديدة ، وشركة ذات إمتياز إلخ ... فهذا أمر مستبعد جداً . ان التجربة تثبت ان التعهدات المماثلة كثيرة التكاليف جداً ، وانها توهن ، أو تحطم تقريبا المبادرات الفردية ، التي هي وحدها الجديرة والقادرة على إحراز النجاحات .

ان الاكثار من اليد العاملة اليهودية في فلسطين ، يمكن أن ينحسر ، بل يجب أن ينحسر في البلدان المجاورة ، الأقل إزدهاراً . وان هذه المستوطنات ستكون بحاجة إلى قيمين ، وربما إلى تسليفات واجبة السداد ، غير ان هذا ما ينبغي أن نقتصر عليه .

مع تحياتي الطيبة .

س . ريناخ

رد السيد جان مونيه ، إستاذ في كلية اللاهوت البروتستنتيه بستراسبورغ :

سيدي ..

إنني أشد ما يمكن أن اكون تعاطفا مع الصهيونية ، وإنني اقيم في نكرياتي التوراتية ، وفي تخيلاتي كمؤمن ، صلة وثيقة بين شعب إسرائيل ، وأرض كنعان ، ولا أستطيع الفصل بينهما . فمنذ حداثتي ، ما فتئت قوانين الايمان التي تعلمت ترتيلها تحيل هذه الصلة إلى علاقة غير قابلة للانفصام . كنت أحس بنوع من الفرح الحنون عندما ارى تلال وسهول إسرائيل تستغل من قبل الشعب المختار الذي وجد وطنه ثانية . انني أعلم حق العلم مدى الأخطار التي تسببها الاعتراضات على الصهيونية ، والعقبات التي ستقوم في وجه إسرائيل ، واعترتني عاطفة غريبة من المشاركة الوجدانية كانت أقوى من كل شيء في ذلك الوقت .

غير أنني كلما إزددت تفكيرا بها ، كلما تراءى لي التفاهم اليهودي ـ العربي ضعيفا ، وقد أوحى لي فيللي بفكرة تجدد الروح النضالية العربية ، وأن ما نراه يؤيد هذا الشعور .

لقد رأيت أثناء تجوالي بفلسطين ، في حيفا ، وطبريا ، المخيمات العربية التي تحيط بالمدينة اليهودية تتحفز للقيام بأعمال القتل والسطو عندما تتاح لها الفرصة .

ويبدو أن « الوطن » حل نبيل لا يمكن أن يتحقق قريبا ، إلا انه يشكل حقيقة ، ولما كانت الحقيقة هي محرك الشيء ، وهذا الشيء مرغوب فيه من قبل الصفوة ، فان النجاحات ستأتي ان عاجلا أم آجلا . انني أؤمن بهذا المستقبل ، وأعني بكل ما يتعلق في هذا الموضوع .

جان مونيه

رد السيد جورج كلاريتي ـ احد الادباء .

ايها الزميل العزيز ـ

قبل كل شيء ، اقدم لك احر التهاني لكتابك عن الصهيونية . لقد وجدت فيه كل علم مؤلف كتاب (الهائمون) ، لقد علمتني اشياء كثيرة . كنت اظن في البداية ، أن تجربة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين كانت نجاحاً ، غير انها تبدو بالنسبة إليك نوعاً من الفشل ، وإذا كانت كذلك فانني أرثي لها ، لأن التجربة كانت مفيدة وكانت إعلان الصهيونية الاستيطانية .

غير أن الصهيونية كما تعرفها تبدو لي معقدة ، **(خلق دولة ذات إستقلال إقتصادي ذاتي ، وحدود منيعة ، تستوعب كافة يهود العالم الذين يرغبون في الاقامة على أراضيها ـ تكون مخفراً متقدماً للعالم المتمدن في وجه آسيا التي أخذت تستيقظ » .**

أمة يهودية مسلحة ـ هذا واجب ضروري ـ لتتمكن من الصمود امام كل النبوخذ نصريين أو المورستيين الجدد الذين يمكن أن يظهروا من جديد ؟ دولة جديدة أخرى على خارطة العالم **ـ هل يعقل هذا ؟ هل يمكن إعطاء الاسرائيليين كل فلسطين ، وكل بلاد ما بين النهرين ؟ انت تقول ، نعم .**

ولكن ، هل يرضى اليهود انفسهم بذلك ؟ لقد جعلتني أفهم بكل ما لديك من خبرة أن اليهود منقسمون ، وأن لديهم نزعتين تبدوان متناقضتين : **الاندماجية ، والتخصيصية** . كما انهم منقسمون حيال مسائل دينية متعددة ، وانه يوجد الآن في فلسطين جيل من الشبان ، اوجدوا كلمة جارحة يعنون بها إخوانهم في الدين ، الذين حافظوا على الروح والمشاعر التي كان عليها اجدادهم بعد هدم المعبد في القدس وتشتتهم في أنحاء العالم . هل نستطيع إذن ، أن نعيد الماضي بعد كل هذه القرون ؟ .

ان هنالك الكثير من العقبات السياسية ، والعالمية والعسكرية ، وغيرها ، تعترض قيام دولة جديدة .. إنك لا تتجاهلها ، بل تشير إليها بصراحتك المعتادة ، ومن أجل هذا نقول ، يلزم قرن أو قرنان للتغلب على هذه العقبات .

إنني من انصار الصهيونية ــ مستوطنات يهودية في فلسطين « الوطن القومي » الذي وعد به بلفور عام ١٩١٧ ، وانني اقر هذا ، فهنالك ملاذ رائع لكافة المضطهدين ولكافة ضحايا المذابح ، حيث يجدون رقعة من الأرض الموعودة يعملون عليها بسلام ، بينما اعترف ، بانني لا اقر بالقومية الصهيونية ، وان وصفك هو مجمل ما جاء على لسان دانيال في كتاب (زوجة كلود) لديماس الابن : « اننا في الوقت الحاضر ، لم نعد نريد أن نكون مجموعة ، نريد أن نكون شعبا ، بل اكثر من شعب ، نريد أن نكون امة » .

هل لا يزال الذين يفتكرون بعبارة (العام القادم في القدس) كثيرون ؟ إنني اشك في ذلك ، فأنت تقول (يلزم مئتا سنة لخلق قومية في القدس !) .

هل يكون من صهيونية بعد مئتي سنة ؟ من يستطيع ان يضمن ذلك ؟ .

واسلم .

جورج كلاريتي

رد السيد بنيه دي بلانهول ـ
مدير مجلة لانوفيل لانتين ، ومحرر مجلة اكسيون دي فرانس

سيدي العزيز .
ان فرضية الصهيونية المتكاملة التي تطرحها ، مليئة بالأفكار الشخصية المبتكرة ، ولها سحر وإغراء الحلم الجميل ، وانني اتمنى ان تتحقق كما تطرح تخيلاتها . ان الأمور التي تضعها أنت بالذات تحت النور ، هي الأمور الأكثر واقعية التي تضطرني للشك حتى وإلى بعض الحذر .

اولا : ـ الصهيونية والكنيسة : ـ

إنك تظهر جيداً خطورة المسألة المدنية التي تثيرها الصهيونية بالنسبة للمسيحيين ، وبخاصة للطائفة الكاثوليكية . إنك تطرح امنياتك وتأمل التوفيق الضمني على الأقل بين السلطة الرومانية والدولة اليهودية الجديدة ، التي هي بطبيعتها أقل دينية منها كقومية ، والتي تستطيع إذن ، ومن دون أن تسيء للكنيسة ، أن تستولي على الأماكن المقدسة ، وتحترم سمتها المقدسة ، غير أنه لا يبدو في الوقت الحاضر ، اية إمكانية لهذا النوع من التصميم . فمن ناحية ، أن الحركة الصهيونية معادية بتعصب لكل نوع من الايمان والتقليد الديني ، ومن ناحية اخرى ، فان الكنيسة التي لم تترك أبداً الحقوق التي تطالب منذ قرون بالأرض التي تقدست بولادة وبتبشير ، وبموت المسيح ، انها لم تترك هذه الحقوق تسقط بالتقادم مطلقاً ، وانها هي التي لا تكف عن الاحتجاج ضد سيطرة الاسلام على القدس ، فهل تقبل للمدينة المقدسة ان تصبح عاصمة لدولة يهودية ؟ ان الفاتيكان وحده هو الذي يملك حق الاجابة . وإذا ما أقدمت الكنيسة على إدانة الصهيونية ، فان هذه الأخيرة ستنعت بالعجز والفساد ، فهي لا تستطيع أن تنمو بشكل طبيعي وسوي ، إلا إذا اعترفت بها الديانة المسيحية .

ثانيا :

فيما يتعلق بعدائية العرب للصهيونية ، فان في وسائلك الجدلية لا

تستطيع التغلب على حكم الأحداث المؤلمة القريبة العهد .

أنت تناشد العرب واليهود أن يتبادلوا التفاهم والاتحاد ، أنت تؤكد وحدة أصلهم الطائفي واللغوي والروحي ، وترين لنا الأعمال الخيرة التي تنجم عن توحيد جهودهم . هذا رائع . غير أن العرب يرفضون الاصغاء إليك ، لانهم يكرهون الصهاينة كدخلاء متطفلين يأتون لسلبهم . وإذا كانت الدسائس الانكليزية التي ذكرتها في الأبحاث التي نشرتها بمجلة « مير كوري دي فرانس » قد استطاعت أن تفيد من هذه الكراهية ، أو ليست هذه الدسائس هي التي خلقتها ، كيف تتصور أن مشاعر كتلك تهدأ وتستكين قبل أن يزول التهديد الذي أحدثته ؟ فمهما كانت الأقوال والأسباب صحيحة ، فانها لا تكفي إطلاقاً لتغيير نفسية شعب من الشعوب . ان كل تمطك الذي يلتمس التحالف وشبه الانصهار بين الفئتين الساميتين الكبيرتين في دولة عبرية ـ عربية ، يبدو انك تبنيه على غير الحقيقة .

ثالثاً : الخطيئة الايديولوجية للصهيونية :

ان الصهيونية منذ بدء التجربة التي أقامتها في فلسطين كانت مؤمنة بقضيتين ، إحداهما كانت خارجية ، والأخرى داخلية .

الأولى هي النفوذ الانكليزي الذي إستخدم الصهيونية كمناورة بسيطة خصصت لخدمة الامبريالية البريطانية ، ستقول لي ، إنك تريد أن تخلص الصهيونية من هذا النفوذ بالتأكيد ، ولكن يجب ان نتوقع أن هذا النفوذ لا يزول إلا بزوال الصهيونية ذاتها . والثانية التي أتيت على ذكرها أعلاه ، وهي الأيديولوجية التي إنطلقت من صهيون الجديدة ، ـ أيديولوجية ثورية عتيقة ، شيوعية بلشفية ذات طموحات علمية زهيدة ، غير انها بماديتها الفاحشة تطعن في كافة الأديان . انني لا أجهل أن اليهود الأميركيين قد عالجوا على الصعيد الاقتصادي وضعاً مؤسفاً في فلسطين ببعض الجنون الذي كاد ان يكلفهم غالياً جداً . اما على الصعيد الروحي ، فلقد استمروا باستعمال التعصب نفسه ، وان حركة كالصهيونية تتحرر بصعوبة جداً من العوامل التي تألفت منها . ليس بالامكان تجديد الشعب الصهيوني ، حتى ولا زعمائه ومفكريه دفعة واحدة .

إذن ، فالصهيونية لا يمكن لها إلا ان تنهج نحو محاولة بناء امة ذات عقيدة دينية وحيدة ، تزدري وتكره كل ديانة اخرى ، ولا شيء يبدو لي ، ليس اكثر قبحا وحقارة ، بل واكثر وهما وإستحالة .

رابعاً : الصهيونية والمسالة اليهودية : ـ

انك تعتبر وجود دولة يهودية سيسهم في حل المسألة اليهودية في الدول الأخرى باعطاء يهود فرنسا وانكلترا وهولندا الخاصية التي تنقصهم اليوم في الاختيار بين الوطن ، حيث يوجدون ، وبين الوطن الاسرائيلي الموغل في القدم . غير ان خاصية الاختيار تلك ، لم تعد موجودة على الاطلاق تقريباً في فرنسا . وان الشعب الصهيوني لا يستطيع خارج نطاق بعض المبشرين ان يجتذب إليه سوى البؤساء والمضطهدين الذين يقطنون في جيتو الشرق ـ ان يهود فرنسا أو هولندا ، لا يتصورون إطلاقاً مغادرة الأوطان المتمدنة حيث يتمتعون بكافة ميزات الحضارة ، وحيث يرتبطون بقوة بعاداتهم ومصالحهم ، ان خاصية الاختيار تكون عديمة التأثير إذن ، كما ان الاختيار الذي يفرض نفسه على يهود فرنسا هل هو إختيار روحاني : ينبغي عليهم أن يختاروا بين العبقرية على أرض الغرب ، وبين العبقرية الاسرائيلية ، فاذا كانت تلك هي التي تصفها في كتابك « الهائمون » فانها تعني عبقرية الفوضى والتخريب .

ان حماية اليهود الذين يندمجون بصدق في فرنسا ، ويضعون في خدمتها خصائص سلالتهم ، وفي نفس الوقت يدافعون عن أنفسهم بقوة ضد الثورة وضد اليهود الدولانيين ، ان حماية هؤلاء تقع على عاتق الحكومة الفرنسية .

ان كتابك الخلاب يتطلب مناقشات عديدة اخرى ، غير ان ذلك يحتاج إلى كتاب آخر ، ولهذا فانني أوجزت بهذه النقاط الهامة ، الانعكاسات التي يشرفني أن طلبتها مني .

وتفضل أيها السيد العزيز بقبول اطيب مشاعري .

« رينيه بلانهول »

رد الدكتور جورج سامي
مدير وكالة الشرق للمراسلات

ان فرضية السيد كادمي كوهين تسترعي الانتباه ، فهي تدخل في عداد المشاغل الحالية الشائعة ، حيث أخذت الحضارة الغربية تشكك في نفسها حيال شرق أصبح ضميره وقوته يستيقظان . ان فكرة إقامة دولة سامية تمتد من بلاد فارس إلى البحر الأبيض المتوسط تكون واجهة الشرق على الغرب ورأس جسر للغرب نحو الشرق ، تغري الخيال بعظمتها ، وتبدو وكأنها تأتي بحل لكثير من المشكلات الحالية ، وكل المسألة ، هي أن نعرف فيما إذا كانت قابلة للتحقيق .

لا يبدو لنا ان السيد كادمي ـ كوهين قد عمل على إضعاف الاعتراضات التي لدينا ، باستنادنا على الأمور المثارة ضد الصهيونية ، انه يهيجها ويضخمها . عوضاً عن أن يخففها . انه يعترف بنفسه أن الصعوبة الكبرى تكمن في عداوة الأمة العربية ، ونحن لا نرى كيف يمكن للنمط الذي يطرحه أن يتغلب على هذه العداوة في الحالة الراهنة للأشياء . انه يتوقع بلا شك بما يقدمه من أسباب لبقة ، أن يبرهن على أن مصلحة العرب الكبرى تدفعهم إلى الاتفاق مع اليهود . غير أنه يعلم حق العلم ان الاستدلالات لا تجدي فعلا في هذه المسألة ، فالمقصود في الواقع ، هو إقتسام طوعي بين العرب واليهود فهل يمكننا الاعتقاد بأن العرب وهم أصحاب الدولة يوافقون طواعية على وضع أيديهم بأيدي اليهود ، ليبلغ هذا العرق الهدف الذي يعلنه بالارتقاء إلى مصافهم وفرض نفسه منافساً على اقليم يعتبرون أنفسهم أسيادد الشرعيين الوحيدين ؟ فليسمح السيد كادمي ـ كوهين ، أن نقول له . انه يضع العربة أمام الثور . من الجائز أن اقليم القومية السامية الواسع الذي يحلم به يصل في يوم من الأيام إلى طور التحقيق ، ولكن من أجل أن يسود الوئام بين اليهود والعرب ، ينبغي بالضرورة وقبل كل شيء ، أن يكتسب اليهود أهمية عددية واجتماعية في فلسطين تضعهم على قدم المساواة مع العرب ، أو أن تقربهم على الأقل بشكل ملموس من العرب .

إننا نصر على هذه النقطة ، وان ما يبدو لنا من إدانة للصهيونية هو في هذه اللامبالاة التي يظهرها السواد الاعظم من الشعب اليهودي حيال الصهيونية ، هذا الشعب الذي يبدو ظاهريا انه لا يشعر بأية رغبة في أن يرى تكوين دولة ذات سيادة في فلسطين ، كي يتخلص من إضطهاد لا وجود له في أكثرية أنحاء العالم ، وطالما ان هذه اللامبالاة قائمة ومستمرة فان الصهيونية ستبقى فكرة مجردة بعيدة عن الواقع ، أكثر مما هي حركة قومية .

ان كل ما نستطيع أخذه بعين الاعتبار في فرضية السيد كادمي كوهن ، هو الامكانية النظرية لقيام تفاهم بين العرب واليهود ، وهنا تكمن وجهات نظر صحيحة ومقنعة ، غير ان وجهات النظر تلك في كل الأحوال ليست قابلة للتطبيق في المدى القريب .

ان على اليهود أن ينتظروا من أنفسهم القوة التي ستحررهم ، إذا كانوا يعتقدون فعلا انهم بحاجة للتحرر .

ان الصهيونية المتكاملة ، وهنا نتكلم كما يتكلم السيد كادمي ـ كوهن تستلزم الصهيونية أولا ، فقبل أن نقيم الطبقة العليا للبناء ، ينبغي أن يكون الأساس متيناً .

« جورج سامني »

رد السيد موريس موري (عضو المجمع)

زميلي العزيز :

لقد عبرت ببراعة عن المسألة الصهيونية ، وقد قرأت كتابك باهتمام زائد وفائدة كبيرة ، وانني اسف لعدم مشاطرتك الاطمئنان اطلاقا . انني لا اقتنع بسلامة نية العرب كما تقول ، أكثر مما اقتنع بسلامة نية « القوميات » الأوروبية ، انني لا أقتنع بذلك في الوقت الحاضر على الأقل . لا يمكن التوفيق بين العرب وبين جيرانهم الصهاينة ، أكثر مما يمكن التوفيق بين مصيرهم وبين الالمان والهولنديين والبلغار الذين انضموا إلى جيرانهم بمقتضى معاهدات السلام في عام ١٩١٩ .

يجب أخذ هؤلاء الانضماميين بالحسبان في أوروبا . وفي رأيي انه من الخطأ الفادح خلق « نزاع قومي » مصطنع في فلسطين ، حيث لم يكن يوجد في عام ١٩١٩ اية قضية أكثر خطورة . ويبدو لي أن سخط العرب واضح وله ما يبرره ضمن نطاق واسع . ان مجاورة اليهود بصفتهم يهوداً ينبغي أن توحي لهم بالقلق والشؤم . وبقدر ما أتعمق في التفكير بقدر ما تزداد شكوكي بأن العرب قادرون على إعطاء الصهيونية حلا ينطبق على « سلامة النية » ففي أوروبا ، عندما تتحرك النعرات القومية يصمت صوت « سلامة النية » فلماذا تبدو شعوب آسيا أكثر تعقلا ، وهي الأقل تطوراً من شعوب أوروبا . لقد ادركت خطورة المسألة الصهيونية منذ عام ١٩٢٢ عندما كنت في زيارة للقدس . ان الذين كانوا أكثر عدائية لهدية اللورد بلفور كانوا من المفكرين والنبلاء والزعماء الطبيعيين للشعب العربي في فلسطين ، كما وان القومية هي ايضا مزية العنصر الأكثر ثقافة من بين المجموعات البشرية ، هذا هو الواقع سواء اغتبطنا أو تكدرنا .

لقد نقلت أوروبا إلى آسيا وإلى جزء من افريقيا حمى القومية ، واكرر ان اخشى ما اخشاه ، أن عرب فلسطين وهم غير القانعين بضرورة فرض جيران عليهم اكثر منهم استعداداً للكفاح الاقتصادي ، ان يتشبثوا برايهم ويستقبلونهم ببرودة ، هذا ، وعلاوة على أن فلسطين ، وانت تعلم ذلك افضل مما اعلمه ، لا تستطيع مطلقا إمتصاص سوى عناصر

ضئيلة من الشعب اليهودي المشتت في كافة ارجاء العالم . ان حل المسألة اليهودية بالنسبة إلي يكمن في إمتصاص الشعوب غير اليهودية للشعب اليهودي ، حيث يقيم مستوطناته ، وان كل حل خارج نطاق الحل الطبيعي الذي لا يزال يتطلب بالواقع قرونا من الكفاح ، وان كل ما نقترحه وكل ما نقوم به من التجارب سيكتب له الاخفاق والفشل . ربما اقدمت بريطانيا العظمى على عمل نافع بالنسبة لسياستها العالمية ، عندما اعادت بعض اليهود إلى ما نسميه وهذا غير صحيح تماما (بلاد ابائهم) ، وانها بهذا لا تخدم بالتاكيد قضية الشعب اليهودي بالذات .

وتقبل أيها الزميل اطيب مشاعري .

« موريس موري »

الفهرس



الثمن ٨ ل .ل او ما يعادلها